

كتاب

مشكاة الانوار للامام حجة الاسلام الغزالي

ويليه ترجمة المؤلف بالفتح

لحضرة الفاضل الشيخ

احمد عزت المصري

الحمد

طبع بمعرفة حضرتي الفاضلين

الشيخ احمد عزت والشيخ

فرج الله زكي الكردي

يباع بالمكتبة الملوكية لصاحبها الشيخ

فرج الله زكي المذكور

« حقوق الطبع والترجمة محفوظة لها »

طبع بمطبعة الصدق باول شارع قصر النوف

بالجمالية بمصر سنة ١٣٢٢

مَكْتَبَاتُ

مشكاة الانوار للامام حجة الاسلام الغزالي

ويليه ترجمة المؤلف بالتفصيل

لحضرة الفاضل الشيخ

احمد عزت المصري

المحلي

طبع بمعرفة حضرتي الفاضلين

الشيخ احمد عزت والشيخ

فرج الله زكي الكردي

يباع بالمكتبة الملوكية لصاحبها الشيخ

فرج الله زكي المذكور

« حقوق الطبع والترجمة محفوظة لهما »

طبع بمطبعة الصدق باول شارع قصر الشوق

بالجمالية بمصر سنة ١٣٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله مفيض الانوار وفاتح الابصار وكشف الاسرار ورافع
الاستار والصلاة على محمد نور الانوار وسيد الابرار وحبيب الجبار
وبشير الغفار ونذير القهار وقامع الكفار وفاضح النجار وعلى آله
 واصحابه الطاهرين الاخيار أما بعد فقد سألتني ايها الاخ الكريم
قيضك الله لطلب السعادة الكبرى ورشحك للعروج الى الذروة
العليا وكحل بنور الحقيقة بصيرتك ونقي عما سوى الحق سريرتك
ان أثبت اليك اسرار الانوار الالهية مقرونة بما يشير اليه ظواهر
الآيات المتلوة والاخبار المروية مثل قوله تعالى الله نور السموات
والارض ومعنى تشبيهه ذلك بالمشكاة والزجاجة والمصباح والزيوت
والشجرة مع قوله عليه السلام ان الله سبعين الف حجاب من نور
وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه ببصره
ولقد ارتقت رسؤك مرتقي صعبا تحققت دون اعاليه مراعي اعين

الناظرين وقرعت باباً مغلقاً لا يفتح الا للعلماء الراسخين ثم ليس
كل سر يكشف ويفشى ولا كل حقيقة تعرض وتجلي بل صدور
الاحرار قبور الاسرار ولقد قال بعض العارفين افشاء سر الربوبية
كفر بل قال سيد الاولين والآخرين ان من العلم كهيته المكنون
لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره عليهم الا اهل الاغترار
بالله ومهما كثر اهل الاغترار بالله وجب حفظ الاسرار عن وجه
الاشرار لكي اراك منشراح الصدر بالنور منزه السر عن ظلمات
الغرور فلا اشح عليك بالاشارة الى اوامع ولوائح والرمز الى حقائق
ودقائق فليس الظلم في كف العلم عن اهله بأقل منه في بثه الى
غير اهله فقد قيل

(فمن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم)
فاقنع باشارات مختصرة وتلويحات موجزة فان تحقيق القول فيه
يستدعي تمهيد اصول وشرح فصول ليس يتسع له الآن وفتى ولا
ينصرف اليه ذهني ولا همتي ومفاتيح القلوب بيد الله يفتحها اذا
شاء كما شاء بما شاء وانما يفتح في هذا الوقت فصول ثلاثة الفصل
الاول في بيان ان النور الحق هو الله تعالى وان اسم النور لغيره
مجاز محض لا حقيقة له ويبانه بأن تعرف معنى النور بالوضع الاول

عند العوام ثم بالوضع الثاني عند الخواص ثم بالوضع الثالث عند خواص الخواص ثم تعرف درجات النور المنسوبة الى الخواص وحقاتها لنكشف لك عند ظهور درجاتها ان الله تعالى هو النور الاعلى الافصا وعند انكشاف حقاتها انه النور الحق الحقيقي وحده لا شريك له فيه أما الوضع الاول العامي فالنور يشير الى الظهور والظهور أمر اضافي اذ يظهر الشيء لا محالة لغيره ويبطن عن غيره فيكون ظاهراً بالاضافة باطنا بالاضافة واطراف ظهوره الى الادراكات لا محالة وأقوى الادراكات واجلها عند العوام الخواص ومنها حاسة البصر والاشياء بالاضافة الى الحس البصري ثلاثة أقسام منها مالا يبصر بنفسه كالأجسام المظلمة ومنها ما يبصر بنفسه ولا يبصر به غيره كالأجسام المضيئة مثل الكواكب وجسم النار اذا لم تكن مشعلة ومنها ما يبصر بنفسه ويبصر به غيره كالشمس والقمر والنيران المشعلة والسرّج والنور اسم لهذا القسم الثالث ثم تارة يطلق على ما يفيض من هذه الأجسام المنيرة على ظواهر الأجسام الكثيفة فيقال استنارت الارض ووقع نور الشمس على الارض ونور السراج على الحائط والثوب وتارة يطلق على نفس هذه الأجسام المشرقة أيضاً لانها في انفسها مستنيرة وعلى الجملة فالنور عبارة عما يبصر بنفسه ويبصر

به غيره كالشمس هذا حده وحقيقته بالوضع الاول (دقيقة) لما كان سر النور وروحه هو الظهور للادراك وكان الادراك موقوفاً على وجود النور وعلى وجود العين الباصرة أيضاً اذ النور هو الظاهر المظهر وليس شيء من الانوار ظاهراً في حق العميان ولا مظهرراً فقد ساوى الروح الباصرة النور الظاهر في كونه ركناً لا بد منه للادراك ثم يرجح عليه في ان الروح الباصرة هي المدركة وبها الادراك واما النور فليس بمدرك ولا به ادراك بل عنده الادراك وكان اسم النور بالنور احق منه بالنور المبصر فاطلقوا اسم النور على نور العين المبصرة فقالوا في الخفاش ان نور عينه ضعيف وفي الاعشى انه ضعيف نور البصر وفي الاعشى انه فقد نور بصره وفي السواد انه يجمع نور البصر ويقويه والاجفان انما خصتها الحكمة الالهية بلون السواد وجعل العين محفوفة بها لتجمع ضوء العين واما البياض فينبرق نور العين فيضف نوره حتى ان ادامة النظر الى البياض المشرق بل الى نور الشمس يهر نور العين ويمحته كما يحق الضعيف في جنب القوي فقد عرفت بهذا ان الروح الباصر يسمى نوراً وانه لم سمي نوراً وانه لم كان بهذا الاسم أولى وهذا هو الوضع الثاني وهو وضع الخواص (حقيقة) اعلم ان نور البصر موسوم

بأنواع من النقصان فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما بعد
منه ولا ما قرب ولا يبصر ما هو وراء حجاب ويبصر من الاشياء
ظاهرها دون باطنها ويبصر من الموجودات بعضها دون كلها
ويبصر اشياء متناهية ولا يبصر ما لا نهاية له ويغلط كثيراً في ابصاره
فيرى الكبير صغيراً ويرى البعيد قريباً والساكن متحركاً والمتحرك
ساكناً فهذه سبع نقائص لا تفارق العين الظاهرة فان كان في العين
عين منزّه عن هذه النقائص كلها فليت شعري هل هو أولى باسم
النور فعلم ان في قلب الانسان عيناً هذه صفة كمالها وهي التي يعبر
عنها تارة بالعقل وتارة بالروح وتارة بالنفس الانساني دع عنك
هذه العبارات فانها اذا كثرت أوهمت عند الضعيف البصيرة كثرة
المعاني فنغني به المعنى الذي يتميز به العاقل عن الطفل الرضيع
وعن البهيمة وعن المجنون ولنسمه عقلاً متابعاً للجمهور في الاصطلاح
فنقول العقل أولى بأن يسمى نوراً من العين الظاهرة لرفعة قدره
عن النقائص السبع أما الاولى فهو ان العين لا تبصر نفسها والعقل
يدرك غيره ويدرك نفسه ويدرك صفات نفسه اذ يدرك نفسه عالماً
وقادر أو يدرك علم نفسه ويدرك علمه بعلمه بنفسه وعلمه بعلمه نفسه
الى غير نهاية وهذه خاصة لا تتصور لما يدرك بألة الاجسام ووراءه

سرى يطول شرحه الثانية ان العين لا تبصر ما قرب منها قرباً مفرطاً
ولا ما بعد والعقل عنده يستوي القريب والبعيد ويعرج في طرفه
الى أعلا السموات رقيّاً وينزل في لحظة الى تخوم الارض هوياً
بل اذا حقت الحقائق انكشف انه منزّه عن ان يحوم بجنبات قدسه
القرب والبعد الذي يعرض بين الاجسام فانه انموذج من بحور
الله تعالى ولا يخلو الانموذج عن محاكاة وان كان لا يرقى الى ذروة
المساواة وهذا ربما هزك للتفطن لسر قوله صلى الله عليه وسلم (ان
الله خلق آدم على صورته) فلست ارى الآن الخوض في بيانه
الثالثة ان العين لا تدرك ما وراء الحجاب والعقل يتصرف في العرش
والكرسى وما وراء حجب السموات وفي الملائكة والملكوت
كتصرفه في عالمه الخاص به ومملكته القريبة اعني بها الخاصة به
بل الحقائق كلها لا تحجب عن العقل وانما حجاب العقل حيث يجب
من نفسه لنفسه بسبب صفات مقارنة له تضاهي حجاب العين من
نفسه عند تغميض الاجفان وستعرف هذا في الفصل الثالث من
الكتاب الرابعة ان العين تدرك من الاشياء ظاهرها وسطحها الاعلى
دون باطنها بل قواها وصورها دون حقائقها والعقل يتغلغل الى
بواطن الاشياء واسرارها ويدرك حقائقها وارواحها ويستنبط

اسبابها وعللها وحكمها وانها مم حدثت وكيف خلقت ومن كم معنى جمع الشئ وركب وعلى اي مرتبة في الوجود نزل وما نسبته الى سائر مخلوقاته الى مباحث اخر يطول شرحها نرى الایجاز فيها اولی الخامسة ان العين تبصر بعض الموجودات اذ تقصر عن جميع المعقولات وعن كثير من المحسوسات ولا تدرك الاصوات ولا الروائح والطعوم والحرارة والبرودة والقوى المدركة اعني قوة السمع والشم والذوق بل الصفات الباطنة النفسانية كالفرح والسرور والنعم والحزن والالم واللذة والعشق والشهوة والقدرة والارادة والعلم الى غير ذلك من موجودات لا تحصى ولا تعد فهو ضيق المجال مختصر المجري لا تسعه مجاوزة عالم الالوان والاشكال وهما اخس الموجودات فان الاجسام في نفسها اخس اقسام الموجودات والالوان والاشكال من اخس اعراضها والموجودات كلها مجال العقل اذ يدرك هذه الموجودات التي عددناها وما لم نعهده وهو الاكثر فيتصرف في جميعها ويحكم عليها حكماً يقيناً صادقاً فالاسرار الباطنة عنده ظاهرة والمعاني الخفية عنده جليلة فمن اين للعين الباصرة مساواته في استحقاق اسم النور كلا انها نور بالاضافة الى غيرها ولكنها ظلمة بالاضافة اليه بل هي جاسوس من جواسيسه

وكذلك باخس خزائنه وهي خزانة الالوان والاشكال لترفع الى حضرة اخبارها فيقضي فيها بما يقتضيه رايه الثاقب وحكمه النافذ والحواس جواسيسه سواها وهي من خيال ووهم وفكر وذكر وحفظ ووراءهم خدم وجنود مسخرة له في عالمه الحاضر يسخرهم ويتصرف فيهم استسخار الملك عبيده بل اشد وشرح ذلك يطول وقد شرحناه في كتاب عجائب القلب من كتب الاحياء (السادسة) ان العين لا تبصر مالا نهاية لها فانها تبصر صفات الاجسام المعلومات والاجسام لا تتصور الامتنائية والعقل يدرك المعقولات والمعقولات لا تتصور ان تكون متناهية نعم اذا لاحظ العلوم المتحصلة فلا يكون الحاضر الحاصل عنده الا متناهياً لكن في قوته ادراك مالا نهاية له وشرح ذلك يطول فان أردت له مثالا فخذ من الحساب فانه يدرك الاعداد ولا نهاية لها بل يدرك تضعيفات الاثنين والثلاثة وسائر الاعداد ولا يتصور لها نهاية ويدرك انواعاً من النسب بين الاعداد ولا يتصور لها نهاية بل يدرك علمه بالشيء وعلمه بعلمه بالشيء وعلمه بعلمه وقوته في هذا الوجه أيضاً لا تقف عند نهاية (السابعة) ان الذين تدرك الكبير صغيراً فترى الشمس في مقدار مجر والكواكب في صورة دنائير مشورة على بساط ازرق والعقل يدرك ان الكواكب

والشمس اكبر من الارض اضعافاً مضاعفة وترى الكواكب ساكنة بل ترى الظل بين يديه ساكناً وترى الصبي ساكناً في مقداره والعقل يدرك ان الصبي يتحرك في النمو والتزيد على الدوام والظل متحرك دائماً والكواكب تتحرك في كل لحظة اميالا كثيرة كما قال صلى الله عليه وسلم لجبريل ازالتم الشمس فقال لا نعم قال وكيف قال منذ قلت لا الى ان قلت نعم قد تحركت مسيرة خمسمائة عام وأنواع غلط البصر كثيرة والعقل منزّه عنها فان قلت نرى العقلاء يغلطون في نظرهم فاعلم ان خيالاتهم واوهامهم قد تحكم باعتقادات يظنون ان احكامها احكام العقل فالغلط منسوب اليها وقد شرحنا مجامعها في كتاب معيار العلم وكتاب محك النظر فاما العقل اذا تجرد عن غشاوة الوهم والخيال لم يتصور ان يغلط بل يرى الاشياء على ماهي عليه وفي تجرده عسر وانما يكمل تجرده عن هذه النوازع بعد الموت وعند ذلك ينكشف الغطاء وتنجلي الاسرار ويصادف كل احد ما قدمه من خيراو شر محضرا ويشاهد كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وعندها يقال له فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وانما الغطاء غطاء الخيال والوهم وعندها يقول المنزّه باوهامه واعتقاداته الفاسدة وخیالاته الباطلة ربنا ابصرنا وسمعنا

فارجعنا لنعمل صالحا انا موقنون فقد عرفت بهذا ان العين اولى باسم النور من النور المعروف المحسوس ثم عرفت ان العقل اولى باسم النور من العين بل بينهما من التفاوت ما يصح ان يقال معه انه اولى بل الحق انه يستحق الاسم دونه (دقيقة) اعلم انّ العقول وان كانت مبصرة فليست المبصرات عندها كلها على مرتبة واحدة بل بعضها تكون عندها كأنها حاضرة كالعلوم الضرورية مثل علمه بان الشيء الواحد لا يكون قديما حديثا ولا يكون موجودا معدوما والقول الواحد لا يكون صدقا وكذبا وان الحكم اذا ثبت للشيء جوازه ثبت لمثله وان الاخص اذا كان موجودا كان الاعم واجب الوجود فاذا وجد السواد فقد وجد اللون واذا وجد الانسان فقد وجد الحيوان واما عكسه فلا يلزم في العقل اذ لا يلزم من وجود اللون وجود السواد ولا من وجود الحيوان وجود الانسان الى غير ذلك من القضايا الضرورية في الواجبات والجائزات والمستحيلات ومنها مالا يقارن العقل في كل حال اذا عرض عليه بل يحتاج الى ان يهز اعطافه ويستورى زناذه وينبه عليه بالتنبيه كالنظريات وانما ينبهه كلام الحكماء فعند اشراق نور الحكمة يصير الانسان مبصراً بالفعل بعد ان كان مبصراً بالقوة واعظم

الحكمة كلام الله تعالى ومن جملة كلامه القرآن خاصة فيكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة اذ به يتم الابصار فبالحرى ان يسمى القرآن نوراً كما يسمى نور الشمس نوراً فمثال القرآن نور الشمس ومثال العقل نور العين وبهذا يفهم معنى قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا وقوله تعالى قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً « تكملة لهذه الدقيقه » فاذا فهمت من هذا ان العين عينان ظاهرة وباطنة الظاهرة من عالم الحس والمشاهدة والباطنة من عالم آخر وهو عالم الملكوت ولكل عين من العينين شمس ونور عنده تصير كاملة الابصار احداها ظاهرة والاخرى باطنة والظاهرة من عالم الشهادة وهي الشمس المحسوسة والباطنة من عالم الملكوت وهو القرآن وكتب الله المنزلة ومهما انكشف لك هذا انكشافاً تاماً فقد انفتح لك باب من أبواب الملكوت وفي هذا العالم عجائب يستحق بالاضافة اليها عالم الشهادة ومن لم يسافر الى هذا العالم وقعد به القصور في حضيض عالم الشهادة فهو بهيمة بعد ومحروم عن خاصية الانسانية بل أضل من البهيمة اذ لم تعط البهيمة أجنحة الطيران الى هذا العالم ولذلك قال تعالى أولئك كالانعام بل هم أضل واعلم ان عالم الشهادة بالاضافة

الى عالم الملكوت كاقشرة بالاضافة الى اللب وكالصورة والقالب بالاضافة الى الروح كالظلمة بالاضافة الى النور وكاسفل بالاضافة الى العلو ولذلك يسمى عالم الملكوت العالم العلوي والعالم الروحاني والعالم النوراني وفي مقابله العالم السفلي والجسماني والظلماني ولا تظن اننا نعني بالعالم العلوي السموات فانها علو وفوق في حق بعض عالم الشهادة والحس يشارك في ادراكها البهائم واما العبد فلا تفتح له ابواب الملكوت ولا يصير ملكوتياً الا وتبدل في حقه الارض غير الارض والسموات ولا يصير كل ما هو داخل تحت الحس واخيال ارضه ومن جعلها السموات وكل ما ارتفع عن الحس سماء وهذا هو المعراج الاول لكل سالك ابتداء سفره لقرب الحضرة الربوبية فالانسان مردود الى اسفل سافلين ومنه يترقى الى العالم الاعلى واما الملائكة فانهم من جملة عالم الملكوت عالقون في حضرة القدس ومنها يشرفون على العالم الاسفل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق في ظلمة ثم افاض عليهم من نوره وقال لله ملائكة هم اعلم باعمال الناس منهم والانبياء اذا بلغ معراجهم الى عالم الملكوت فقد بلغوا المبلغ الاقصى واشرفوا على جملة من عالم الغيب اذ من كان في عالم الملكوت كان عند الله وعنده مفاتيح

الغيب اي من عنده تنزل اسباب الموجودات في عالم الشهادة اذ عالم الشهادة اثر من آثار ذلك العالم يجري منه مجرى الظل بالاضافة الى الى الشخص ومجرى الثمر بالاضافة الى المثمر والمسبب بالاضافة الى السبب ومفاتيح معرفة المسببات انما تؤثر من الاسباب ولذلك كان عالم الشهادة مثالا لعالم الملكوت كما سيأتي في بيان المشكاة والمصباح والشجرة لان المشبه لا يخلو عن موازاة المشبه به ومحاكاة نوعاً من المحاكاة على قرب او بعد وهذا الآن له غور عميق ومن اطلع على كنه حقيقته انكشف له حقائق امثلة القرآن على سر (دقيقة ترجع الى حقيقة النور) قلنا ان كل ما يبصر نفسه وغيره اولى باسم النور فان كان من جملته ما يبصر به غيره ايضاً مع انه يبصر نفسه وغيره فهو اولى باسم النور من الذي لا يؤثر في غيره اصلاً بل بالحري ان يسمى سراجاً منيراً لفيض انواره على غيره وهذه الخاصة توجد للروح القدسي النبوي اذ تفيض بواسطته انوار المعارف على الخلق وبه يفهم تسمية الله محمداً صلى الله عليه وسلم سراجاً منيراً والانبيااء كلهم سرج وكذلك العلماء ولكن التفاوت بينهم لا يحصى (دقيقة) اذا كان اللائق بالذي يستفاد منه نور الابصار ان يسمى سراجاً منيراً فالذي يقتبس منه السراج في نفسه

جدير بان يكتفي عنه بالنار وهذه السرج الارضية انما تقتبس في اصلها من انوار علوية والروح القدسي النبوي يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار لكن انما يصير نوراً على نور اذا مسته النار فالحري ان يكون مقتبس الارواح الارضية من الارواح الالهية العلوية التي وصفها علي وابن عباس عليهما السلام فقالا ان لله ملكاً له سبعون الف وجه في كل وجه سبعون الف فم في كل فم سبعون الف لسان يسبح الله بجميعها وهو الذي قوبل بالملائكة كلهم فقليل يوم يقوم الروح والملائكة صفاً فهي اذا اعتبرت من حيث يقتبس منها السرج الارضية لم يكن لها مثال الا النار وذلك لايونس الا من جانب الطور (دقيقة) الانوار السماوية التي منها تقتبس الانوار الارضية ان كان لها ان ترتب بحيث يقتبس بعضها من بعض فالاقرب من المنبع الاول اولى باسم النور لانه اعلى رتبة ومثال ترتيبها في عالم الشهادة لا يدركه الانسان الا بان يبصر ضوء القمر داخل في كوة بيت واقفاً على مرآة منصوبة على حائط منعطفاً منها على حائط آخر في مقابلتها ثم منعطفاً منها على الارض بحيث تستنير منه الارض فانت تعلم ان ما على الارض من النور تابع لما على الحائط وما على الحائط تابع لما على المرآة وما على المرآة تابع للقمر وما في الثمر تابع لما في الشمس

اذ منها يشرق النور على القمر وهذه الانوار الاربعة مترتبة بعضها
أعلى من بعض وأكمل من بعض ولكل واحد مقام معلوم ودرجة
خاصة لا يتعداها فاعلم انه قد انكشف لارباب البصائر ان الانوار
الملكوية انما وجدت على ترتيب كذلك وان المقرب هو الاقرب
الى النور الاقصى فلا يبعد ان يكون رتبة اسرافيل فوق رتبة جبريل
وان فيهم الاقرب الذي تقرب درجته من حضرة الربوبية التي هي
منبع الانوار كلها وان فيهم الادنى وبينهم درجات تستعصى على
الاحصاء وانما المعلوم كثرتهم وترتبتهم في صفوفهم وانهم كما وصفوا
به انفسهم اذ قالوا (وما منا الاله مقام معلوم) وانا نحن الصافون
وانا نحن المسبحون (دقيقة) اذا عرفت أن الانوار لها ترتيب فاعلم
انها لا تتسلسل الى غير نهاية بل ترتقي الى منبع اول هو النور لذاته
وبذاته ليس ياتيه نور من غيره ومنه تشرق الانوار كلها على
ترتيبها فانظر الآن هل اسم النور احق واولى بالمستنير المستعير
نوره من غيره او بالمثير في ذاته المنور لكل ماسواه فاعندي انه
يخفى عليك الحق فيه وبه تتحق ان اسم النور احق بالنور الاقصى
الاعلى الذي لا نور فوقه ومنه ينزل النور الى غيره (حقيقة) بل اقول
ولا ابالي ان اسم النور على غير النور الاول مجاز محض اذ كل ما

سواه اذا اعتبرت ذاته فهو في ذاته من حيث ذاته لا نور له بل نوره
مستعار من غيره ولا قوام لنورانيته المستعارة بنفسها بل بغيرها ونسبة
المستعار منه الى المستعير مجاز محض أفترى ان من استعار ثيابا وفرسا
ومركبا وسرجا وركبته في الوقت الذي اركبه المعير وعلى الحد الذي رسمه له
غنى بالحقيقة أو بالمجاز او ان المعير هو الغنى كلا بل المستعير هو فقير في
نفسه كما كان وانما الغنى هو المعير الذي منه الاعارة والاعطاء واليه
الاسترداد والانتزاع فاذا النور الحق هو الذي يبيده الخلق
والأمر ومنه الانارة أولا والادامة ثانيا فلا شركة لاحد معه
في حقيقة هذا الاسم ولا في استحقاقه الا من حيث تسميته
به ويتفضل عليه بتسميته اياه انفضل المالك على عبده اذا اعطاه مالا
ثم سماه مالكا واذا انكشف للعبد هذه الحقيقة علم انه وماله ملك
للمالك على التفرد لا شريك له فيه اصلا (حقيقة) مهما عرفت ان
النور راجع الى الظهور والاضهار ومراتبه فاعلم انه لا ظلمة أشد
من ظلمة العدم لانه مظلم وسمي مظما لانه ليس يظهر للابصار اذ
ليس يصير موجودا للبصر مع انه موجود في نفسه فالذي ليس
موجودا لا لغيره ولا لنفسه كيف لا يستحق أن يكون هو الغاية
في الظلمة وفي مقابله الوجود فهو النور فان الشيء ما لم يظهر في ذاته

لا يظهر لغيره والوجود بنفسه أيضاً ينقسم الى ماله الوجود من ذاته والى ماله الوجود من غيره وماله الوجود من غيره فوجوده مستعار لا قوام له بنفسه بل اذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض وانما وجوده من حيث نسبته الى غيره وليس ذلك بوجود حقيقي كما عرفت في مثال استعارة الثوب والغنى فالموجود الحق هو الله تعالى كما ان النور الحق هو الله تعالى « حقيقة الحقائق » من ههنا يترقي العارفون من حضيض المجاز الى ذروة الحقيقة واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العيانة ان ليس في الوجود الا الله وان كل شيء هالك الا وجهه لأنه يصير هالكا في وقت من الاوقات بل هو هالك ازلا وابداً اذ لا يتصور الا كذلك فان كل شيء سواء اذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض واذا اعتبر من الوجه الذي يسري اليه الوجود من الاول الحق رؤي موجوداً لا في ذاته بل من الوجه الذي يلي موجدَه فيكون الموجود وجه الله فقط ولكل شيء وجهان وجه الى نفسه ووجه الى ربه فهو باعتبار وجه نفسه عدم وباعتبار وجه الله وجود فاذا لا موجود الا الله ووجهه فاذا كل شيء هالك الا وجهه ازلا وابداً ولم يفتقر هؤلاء الى قيام القيامة ليستمعوا نداء الباري لمن الملك اليوم لله الواحد القهار

بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبداً ولم يفهموا من معنى قوله الله اكبر انه اكبر من غيره حاش لله اذ ليس في الوجود معه غيره حتى يكون هو اكبر منه بل ليس لغيره رتبة المعية بل رتبة التبعية بل ليس لغيره وجود الا من الوجه الذي يليه فالموجود وجهه فقط ومحال ان يكون اكبر من وجهه بل معناه اكبر من ان يقال له اكبر بمعنى الاضافة والمقايسة واكبر من ان يدرك غيره كنه كبريائه نبيا كان او ملكا بل لا يعرف الله كنه معرفته الا هو اذ كل معروف داخل تحت سلطان العارف واستيلانه وذلك ينافي الجلال والكبرياء وهذا له تحقيق ذكرناه في كتاب المقصد الاسنى في معاني اسماء الله الحسنى (اشارة) العارفون بعد العروج الى سماء الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود الا الواحد الحق لكن منهم من كان له هذه الحالة عرفانا علميا ومنهم من صار له ذلك ذوقاً وحالا وانتفت عنهم الكثرة بالكيفية واستغرقوا بالفرديّة المحضة واستهوت فيها عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فيهم متسع لذكر غير الله ولا لذكر انفسهم أيضاً فلم يبق عندهم الا الله فسكروا وسكروا وقع دونه سلطان عقولهم فقال بعضهم انا الحق وقال الآخر سبحاني ما اعظم شأنني وقال الآخر ما في الجبة الا الله وكلام العشاق في حال السكر

يطوى ولا يحكى فلما خف عنهم سكرهم وردوا الى سلطان العقل
الذي هو ميزان الله في أرضه عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد
بل يشبه الاتحاد مثل قول العاشق في حال فرط العشق

انا من أهوى ومن أهوى انا نحن روحان حللنا بدنا
فلا يبعد ان يفجأ الانسان مرآة فينظر فيها ولم ير المرأة قط
فيظن ان الصورة التي رآها في المرأة هي صورة المرأة متحدة بها
ويرى الخمر في الزجاج فيظن ان الحمرة لون الزجاج فاذا صار ذلك
عنده مألوفاً ورسخ فيه قدمه استغرقه فقال

رقّ الزجاج وراقت الخمر وتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر
وفرق بين ان يقال الخمر قدح وبين ان يقال كأنه القدح وهذه
الحالة اذا غلبت سميت بالاضافة الى صاحب الحال فناء بل فناء الفناء
لانه فنى عن نفسه وفنى عن فناءه فانه ليس يشعر بنفسه في تلك
الحال ولا بعدم شعوره بنفسه ولو شعر بعدم شعوره بنفسه لكان
قد شعر بنفسه وتسمى هذه الحال بالاضافة الى المستغرق فيها بلسان
لجاز اتحاداً ولسان الحقيقة توحيداً ووراء هذه الحقائق ايضا اسرار
لا يجوز الخوض فيها (خاتمة) لعلك تشتهي ان تعرف وجهه اضافة

نوره الى السموات والارض بل وجه كونه في ذاته نور السموات
والارض ولا ينبغي ان يخفى ذلك عليك بعد ان عرفت انه النور
ولا نور سواه وانه كل الانوار وانه النور الكلي لان النور عبارة
عما تنكشف به الاشياء واعلا منه ما ينكشف به وله واعلا منه
ما ينكشف به وله ومنه وان الحقيقي منه ما ينكشف به وله
ومنه وليس فوقه نور منه اقتباسه واستمداده بل ذلك له في
ذاته من ذاته لذاته لا من غيره ثم عرفت ان هذا لا يتصور
ولن يتصف به الا النور الاول ثم عرفت ان السموات والارض
مشحونة نورا من طبعتي النور أعني المنسوب الى البصر والبصيرة
أي الى الحس والعقل أما البصري فما نشاهده في السموات من
الكواكب والشمس والقمر وما نشاهده في الارض من الاشعة
المنبسطة على كل ما في الارض حتى ظهرت به الالوان المختلفة خصوصاً
في الربيع وعلى كل حال من الحيوانات والنباتات والمعادن واصناف
الموجودات ولولاها لم يكن للالوان ظهور بل وجود ثم سائر ما يظهر
للحس من الاشكال والمقادير يدرك تبعاً للالوان ولا يتصور ادراكها
الا بواسطتها وأما الانوار العقلية المعنوية فالعالم الاعلى مشحون بها
وهي جواهر الملائكة والعالم الاسفل مشحون بها وهي الحياة

الجوانية ثم الانسانية وبالنور الانساني السفلي ظهر نظام العالم السفلي كما ان بالنور الملكي ظهر نظام العالم العلوي وهو المعني بقوله (وهو الذي انشأكم من الارض واستعمركم فيها) وقال (ليستخلفنهم في الارض) وقال (ويجعلكم خلفاء الارض) وقال (اني جاعل في الارض خليفة) فاذا عرفت هذا عرفت ان العالم باسره مشحون بالانوار الظاهرة البصرية والباطنة العقلية ثم عرفت ان السفلية فائضة بعضها من بعض فيضان النور من السراج وان السراج هو الانوار النبوي القدسي وان الارواح النبوية القدسية مقتبسة من الارواح العلوية اقتباس السراج من النار وان العلويات بعضها مقتبس من بعض وان ترتيبها ترتيب مقامات ثم ترتقي جملتها الى نور الانوار ومعدنها ومنبعها الاول وان ذلك هو الله وحده لا شريك له وان سائر الانوار مستعارة منه وانما الحقيقي نوره فقط وان الكل من نوره بل هو الكل بل هو هو لا هوية لغيره الا بالمجاز فاذا لا نور الا هو وسائر الانوار انوار من الوجه الذي تاليه لا من ذاتها فوجه كل موجه اليه ومول شطره وايضا تولوا ثم وجه الله فاذا لا اله الا هو فان الاله عبارة عما الوجود مولية نحوه بالعبادة والتأليه اعني وجوه القلوب فانها الانوار والارواح بل كما لا اله الا هو فلا هو الا هو فان هو عبارة عما اليه الاشارة

وكيفما كان فلا اشارة الا اليه بل كلما اشرت فهو بالحقيقة الاشارة اليه وان كنت لا تعرفه انت لغفلتك عن حقيقة الحقائق التي ذكرناها ولا اشارة الى نور الشمس بل الى الشمس فكل ما في الوجود قسبته اليه في ظاهر المثال كنسبة النور الى الشمس فاذن لا اله الا الله توحيد العوام ولا هو الا هو توحيد الخواص لان ذلك اعم وهذا اخص واشمل واحق وادق وأدخل بصاحبه في الفردانية المحضة والوحدانية الصرفة ومنتهى معراج الخلائق مملكة الفردانية فليس وراء ذلك مرقاة اذ الرقي لا يتصور الا بكثرة فانه نوع اضافة يستدعي مامنه الارتقاء وماليه الارتقا واذا ارتفعت الكثرة حقت الوحدة وبطلت الاضافة وطاحت الاشارة فلم يبق علو ولا سفل ولا فازل ولا مرتفع فاستحال الترتي واستحال العروج فليس وراء الاعلى علو ولا مع الوحدة كثرة ولا مع انتفاء الكثرة عروج فان كان ثم تغير من حال فبالنزول الى السماء الدنيا اعني بالاشراق من علو الى أسفل لان الاعلى وان لم يكن له اعلى فله اسفل فهذا غاية الغايات ومنتهى الطلبات يعلمه من يعلمه وينكره من يحيله وهو من العلم الذي هو كنهه المكنون الذي لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره الا اهل النعمة بالله ولا يبعد ان قال العلماء ان النزول الى سماء الدنيا

هو نزول ملك فقد توهم بعض العارفين ما هو ابعد منه اذ قال
هذا المستغرق بالفردانية له نزول الى سماء الدنيا وان ذلك هو
نزوله الى استعمال الحواس او تحريك الاعضاء واليه الاشارة بقوله
عليه السلام صرت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
ولسانه الذي ينطق به واذا كان هو سمعه وبصره ولسانه فهو
السامع والباصر والناطق اذا لا غيره واليه الاشارة بقوله لموسى عليه
السلام مرضت فلم تعدني الحديث فحركات هذا الموحد من السماء
الدنيا واحساساته من سماء فوقها وعقله فوق ذلك وهو يترقى من سماء
العقل الى منتهي معراج الخلائق ومملكة الفردانية الى سبع طبقات ثم
يعدده يستوي على عرش الوجدانية ومنه يدبر الامر الى طبقات سمواته
فربما نظر الناظر اليه فاطلق القول بان الله خلق آدم على صورة الرحمن
الى ان يعمن النظر فيه فيعلم ان ذلك له تاويل كقوله انا الحق
وسبحاني بل كقوله عليه السلام مرضت فلم تعدني وكنت سمعه
وبصره ولسانه فارى الآن امساك عنان البيان فما اراك تطيق
من هذا الفن اكثر من هذا المقدار (مساعدة) لملك لا
تسمو الى هذا الكلام بهمتك بل تقصر دون ذروته همتك فخذ
اليك كلاماً أقرب الى فهمك واقرب لضعفك واعلم ان معنى كونه

نور السموات والارض تعرفه بالنسبة الى النور الظاهري البصري
فاذا رأيت الوان الربيع وخضرتها مثلاً في ضياء النهار فلست تشك
في انك ترى الالوان وربما ظننت انك لست ترى مع الالوان
غيرها فكانك تقول لست أرى مع الخضرة غيرها ولقد اصر على
هذا أقوام فزعموا ان النور لا معنى له وانه ليس مع الالوان غير
الالوان فانكروا وجود النور مع انه اظهر الاشياء وكيف لا وبه
تظهر الاشياء وهو الذي يبصر في نفسه ويبصر به غيره كما سبق
لكن عند غروب الشمس وغيب السراج ووقوع الظل ادركوا تفرقة
ضرورية بين محل الظل وبين موقع الضياء فاعترفوا بان النور معنى
وراء الالوان يدرك مع الالوان حتى كأنه لشدة اتحادهما لا يدرك
ولشدة ظهوره يخفى وقد تكون شدته سبب اخفاء الشيء اذا
جاوز حده انعكس على ضده فاذا عرفت هذا فاعلم ان ارباب
البصائر ما رأوا شيئاً الا ورأوا الله معه وربما زاد على هذا بعضهم
فقال ما رأيت شيئاً الا رأيت الله قبله لان منهم من يرى الاشياء
به ومنهم من يرى الاشياء فيراه بالاشياء والى الأول الاشارة
بقوله (أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد) والى الثاني الاشارة
بقوله (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم) فالاول صاحب

مشاهدة والثاني صاحب استدلال بآياته والاولى درجة الصديقين
والثاني درجة العلماء الراسخين وليس بعدهما الا درجة الغافلين
المحجوبين فاذا عرفت هذا فاعلم انه كما ظهر كل شيء للبصر بالنور
الظاهر فقد ظهر كل شيء للبصيرة الباطنة بالله فهو مع كل شيء
لا يفارقه وبه يظهر كل شيء ولكن بقي هاهنا تفاوت وهو ان النور الظاهر
يتصور ان يغيب بغروب الشمس ويحجب حتى يظهر الظل وأما النور
الالهي الذي به يظهر كل شيء لا يتصور غيبته بل يستحيل غروبه فيبقى
مع الاشياء كلها دائماً فاقطع طريق الاستدلال بالفرقة ولو تصور
غيبته لانهدمت السموات والارض ولا أدرك به من التفرقة ما يضطر
معه الى المعرفة بما به ظهرت الاشياء ولكن لما تساوت الاشياء
كلها على نمط واحد في الشهادة لوحدانية خالقها اذ كل شيء يسبح
بحمده لا بعض الاشياء وفي جميع الاوقات لاني بعض الاوقات
ارتفع التفريق وخفي الطريق اذ الطريق الظاهر معرفة
الاشياء بالاضداد فالاضدله ولا تقيض تشابه الاحوال في الشهادة
له فلا يبعد ان يخفى ويكون خفاؤه لشدة جلالة والغفلة عنه لاشراق
ضياؤه فسبحان من اختفى عن الخلق لشدة ظهوره واحتجب عنهم
لاشراق نوره وربما ايضا لا يفهم هذا الكلام بعض القاصرين

فيفهم من قولنا ان الله مع كل شيء كالنور مع الاشياء انه في كل
مكان تعالى وتقدس عن النسبة الى المكان بل الأبعد عن اثاره
هذا الخيال ان نقول لك بانه قبل كل شيء وانه فوق كل
شيء وانه مظهر كل شيء والمظهر لا يفارق المظهر في معرفة
صاحب البصيرة فهذا الذي نعني بقولنا انه مع كل شيء ثم
لا يخفى عليك ايضا ان المظهر قبل المظهر وفوقه مع انه معه لكنه
معه بوجه وقبلة بوجه فلا تظن انه متناقض واعتبر بالمحسوسات التي
هي قدر درجتك في العرفان وانظر كيف تكون حركة اليد مع حركة
خلل اليد وقبلها ايضا ومن لم يتسع صدره لمعرفة هذا فليحذر هذا النمط
من العلم (فكل علم رجال . وكل ميسر لما خلق له

(الفصل الثاني) في بيان مثال المشكاة والمصباح والزجاجة
والشجرة والزيت والنار وبيان ذلك يستدعي تقديم قطبين يتسع
المجال فيهما الى غير حد محدود ولكنني اشير اليهما بالرمز والاختصار
احدهما في بيان سر التمثيل ومنهاجه ووجه ضبط ارواح المعاني بقوالب
الامثلة ووجه كيفية المناسبة بينهما وكنه الموازنة بين عالم الشهادة
التي منها يتخذ طينة الامثال وبين عالم الملكوت الذي منه تنزل
ارواح المعاني والقطب الثاني في طبقات ارواح الطينة البشرية ومراتبه

انوارها فان هذا المثال مسوق بيان ذلك وقد قرأ ابن مسعود
مثل نوره في قلب المؤمن كشكاة فيها وقرأ أبي بن كعب مثل
تور قلب من آمن كشكاة فيها

— (القطب الاول في بيان سر التمثيل ومنهاجه) — إعلم ان العالم
عالمان روحاني وجسماني وان شئت قلت حسي وعقلي وان شئت
قلت علوي وسفلي والكل متقارب وانما يختلف باختلاف العبارات
فاذا اعتبرتهما في انفسهما قلت جسماني وروحاني واذا اعتبرتهما
بالاضافة الى الدين المدركة لهما قلت حسي وعقلي وان اعتبرتهما
باضافة احدهما الى الآخر قلت علوي وسفلي وربما سميت احدهما
عالم الملك والشهادة والآخر عالم الغيب والملكوت ومن ينظر الى
الحقائق من الالفاظ ربما يتعير من كثرتها ويتخيل كثرة المعاني
والذي تنكشف له الحقائق يجعل المعاني اصلا والالفاظ تابعة وأمر
الضعيف بالعكس منه اذ يطالب الحقائق من الالفاظ والى الفريقين
الاشارة بقوله تعالى (أفن يمشى مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي
سواء على صراط مستقيم) واذا قد عرفت معنى العالمين فاعلم ان
العالم الملوكوتي العلوي عالم غيب اذ هو غائب عن الاكثر والعالم
الحسي عالم الشهادة اذ يشهده الكافة والعالم الحسي مرقاة الى العالم

العقلي ولو لم يكن بينهما اتصال ومناسبة لانسد طريق الترقى اليه ولو
تعذر ذلك لتعذر السفر الى الحضرة الربوبية والقرب من الله
فلن يقرب من الله احد مالم يطأ بحبوحة حظيرة القدس والعالم
المرتفع عن إدراك الحس والخيال هو الذي نغنيه بعالم القدس واذا
اعتبرت جملة بحيث لا يخرج منه شيء ولا يدخل فيه ما هو غريب
منه سميناه حظيرة القدس وربما سمينا الروح البشري الذي هو
مجرى لوائح القدس الوادي المقدس ثم هذه الحظيرة فيها حظائر
بعضها أشد إمعاناً في معاني القدس ولكن لفظ الحظيرة محيط بجميع
طبقاتها فلا تظن ان هذه الالفاظ طامات غير معقولات عند أبواب
البصائر واشتغالي الآن بشرح كل لفظ مع ذكره يصدني عن المقصد
فعليك بالتشمير لفهم الالفاظ فارجع الى الغرض فأقول لما كان عالم
الشهادة مرقى الى عالم الملكوت كان سلوك الصراط المستقيم عبارة
عن هذا الترقى وقد يعبر عنه بالدين وبمنازل الهدى فلو لم يكن بينهما
مناسبة واتصال لما تصور الترقى من احدهما الى الاخر فجعلت الرحمة
الالهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت فما من شيء في هذا
العالم الا وهو مثال لشيء من ذلك العالم وربما كان الشيء الواحد مثالا
لاشياء من عالم الملكوت وربما كان لشيء الواحد من الملكوت أمثلة

كثيرة من عالم الشهادة وانما يكون مثالا اذا ماثله نوعاً من المماثلة وطابقه نوعاً من المطابقة واحصاء تلك الامثلة يستدعي استقصاء جميع موجودات العالمين باسرها ولن تفي به القدرة البشرية ولم يتسع لفهمه القوة البشرية ولا تفي لشرحه الاعمار القصيرة فغايي ان عرفك منها انموذجا لتستدل باليسير منها على الكثير وينفتح لك باب الاستبصار بهذا النمط من الاسرار فاقول ان كان في عالم الملكوت جواهر نورانية شريفة عالية يعبر عنها بالملائكة منها تفيض الانوار على الارواح البشرية ولا جها قد تسمى ارباباً فيكون الله رب الارباب لذلك ويكون لها مراتب في نورانيتها متفاوتة فبالخري ان يكون مثالها من عالم الشهادة الشمس والقمر والكواكب وسالك الطريق يترقى أولاً الى مآدرجته درجة الكوكب فيتضح له اشراق نوره وينكشف له ان العالم الاسفل باسره يحجب سلطانه ويحجب اشراق نوره ويتضح له من جماله وعلو درجته ما ينادي فيقول هذا ربي ثم اذا اتضح له ما فوقه مما رتبته رتبة القمر رأى أقول الاول في مضرب الهوى أى بالاضافة الى ما فوقه افولاً فقال لا احب الآفلين فكذلك يترقى حتى ينتهي الى ما مثاله الشمس فيراه اكبر واعلى قابلاً للمثال بنوع مناسبة له معه والمناسبة مع ذي النقص نقص

واقول ايضاً فنه من يقول وجهت (وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما انا من المشركين) ومعنى الذي اشارة مبهمة لا مناسبة لها اذ لو قال قائل ما مثال مفهوم الذي لم يتصور ان يجاب عنه فالمنزه عن كل مناسبة هو الله الحق ولذلك لما قال بعض الاعراب لرسول الله ما نسبة الله نزل في جوابه (قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) معناه التقديس عن النسبة ولذلك لما قال فرعون لموسى وما رب العالمين كالطالب لماهيته لم يجبه الا بافعاله اذ كانت الافعال اظهر عند السائل فقال رب السموات والارض فقال فرعون لمن حوله الا تستمعون كالمنكر عليه في عدوله في جوابه عن طلب الحقيقة فقال موسى (ربكم ورب آبائكم الاولين) فنسبه فرعون الى الجنون اذ كان مطلبه المثل والماهية وهو يجب عن الافعال بالافعال وقال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لجنون ولنرجع الآن الى الانموذج فنقول علم التعبير يعرفك مقدار ضرب المثل لان الرؤيا اجزء من النبوة اما ترى ان الشمس في الرؤيا تبييرها السلطان لما بينهما من المشاركة والمماثلة في معنى روحاني وهو الاستعلاء على الكافة مع فيضان الآثار والانوار على الجميع والقمر تبيير الوزير لافاضة الشمس نورها بواسطة القمر على العالم عند غيبتها كما يفيض السلطان

آثاره بواسطة الوزير على من يغيب عن حضرة السلطان وان من يرى ان في يده خاتما يجتم به افواه الرجال وفروج النساء فانه يعبر له أنه يؤذن قبل الصبح في رمضان ومن رأي انه يصب الزيت في الزيتون تعبيره ان تحته جارية هي امه وهو لا يعرفها فاستقصاء ابواب التعبير في امثال هذا الجنس غير ممكن فلا يمكن الاشتغال بعمدها بل اقول كما ان في الموجودات العالية الروحانية ما مثاله الشمس والقمر والكواكب كذلك منها ما له امثلة اخرى اذا اعتبرت معها اوصاف اخر سوى النورانية فان كان في تلك الموجودات ما هو ثابت لا يتغير وعظيم لا يستصغر ومنه تنفجر الى اودية القلوب البشرية مياه المعارف ونفائس المكاشفات فمثاله الطور وان كان الموجودات التي تتلقى تلك النفائس بعضها اولى من بعض فمثالها الوادي وان كانت تلك النفائس بعد اتصالها بالقلوب البشرية تجري من قلب الى قلب فهذه القلوب ايضا اودية ومفتحة الوادي قلوب الانبياء والاولياء والعلماء ثم من بعدهم فان كانت هذه الاودية دون الاول ومنها تغترف فبالجري ان يكون الاول هو الوادي الايمن لكثرة يمنه وعلو درجته وان كان الوادي الادون يتلقى من آخر حرجات الوادي الايمن فهو يغترف من شاطئ الوادي الايمن دون

لجته وميدانه وان كان روح النبي سراجا منيرا وكان ذلك الروح مقتبسا بواسطة وحي كما قال (اوحينا اليك روحاً من امرنا) فما منه الاقتباس مثاله النار وان كان المتلقون من الانبياء بعضهم على محض التقليد لما يسمعه وبعضهم على حظ من البصيرة فمثال المناد الغير المستبصر الجذوة والقبس والشهاب وصاحب الذوق مشارك للنبي في بعض الاحوال ومثل تلك المشاركة الاصطلاء وانما يصطلى بالنار من معه النار لا من سمع خبرها وان كان اول منزل الانبياء الترقى الى العالم المقدس عن كدورة الحس والخيال فمثال ذلك المنزل الوادي المقدس وان كان لا يمكن وطىء ذلك الوادي المقدس الا باطراح الكونين اعني الدنيا والآخرة والتوجه الى الواحد الحق وكانت الدنيا والآخرة متقابلتين متحاذيتين وهما عارضتان للجوهر النوراني البشري يمكن اطراحهما مرة والتلبس بهما اخرى فمثال اطراحهما عند الاحرام والتوجه الى كعبة القدس خلع النملين بل ترقى الى الحضرة الربوبية مرة اخرى فنقول ان كان في تلك الحضرة شيء بواسطة تنتقش العلوم المفصلة في الجواهر القابلة فمثاله القلم وان كان في تلك الجواهر القابلة للتلقى ما انتقش بالعلوم فمثاله اللوح والكتاب والرق

المنشور وان كان فوق النافس للعلوم شيء هو مسخر له فشأله
 اليد وان كان لهذه الحضرة المشتملة على اليد والالوح والقلم
 والكتاب ترتيب منظوم فشأله الصورة وان كان يوجد للصورة الانسية
 ترتيب منظوم على هذه الشاكلة فهي على صورة الرحمن وفرق بين ان
 يقال على صورة الرحمن وبين ان يقال على صورة الله إذ الرحمة
 الالهية هي التي على صورة الحضرة الالهية بهذه الصورة ثم أنعم
 على آدم فاعطاه صورة مختصرة جامعة لجميع اصناف مافي العالم حتى
 كانه كل مافي الدالم او هو نسخة من العالم مختصرة وصورة آدم
 أعني هذه الصورة مكتوبة بخط الله فهو الخط الالهي الذي ليس
 برقم حروف إذ يتنزه خطه عن ان يكون رقاً وحروفاً كما يتنزه
 كلامه عن ان يكون صوتاً وحروفاً وقله عن ان يكون قصياً
 وحديداً ويده عن ان يكون لحمًا وعظماً ولولا هذه الرحمة لعجز
 الآدمي عن معرفة ربه إذ لا يعرف ربه الا من عرف نفسه فلما
 كان هذا من آثار الرحمة كان على صورة الرحمن لا على صورة الله
~~فحضر~~ الحضرة الالهية غير حضرة الرحمن وغير حضرة الملك وغير حضرة
 الربوبية ولذلك امر بالعباد بجميع هذه الحضرات فقال (قل أعوذ
 برب الناس ملك الناس إله الناس) ولولا هذا المعنى لكان قوله

ان الله خلق آدم على صورة الرحمن غير منظوم لفظاً بل كان ينبغي
 ان يقول على صورته واللفظ الوارد في الصحيح على صورة الرحمن
 ولان تمييز حضرة الملك عن حضرة الربوبية يستدعي شرحاً طويلاً
 فلتجاوزوه ويكفيك من الانموذج هذا القدر فانه بحر لا ساحل له
 فان وجدت في نفسك تقوراً عن هذه الامثال فاستأنس بقوله
 تعالى (انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها) لاية فانه قد
 ورد في التفسير ان الماء هو المعرفة والاودية القلوب (خاتمة واعتذار)
 لا تظن من هذا الانموذج وطريق ضرب الامثال رخصة مني في
 رفع الظواهر واعتقاداً في ابطالها حتى أقول مثلاً لم يكن مع موسى
 نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله اخلع نعليك حاشا لله ان ابطال
 الظواهر رأي الباطنية الذين نظروا بالدين العوراء الى احد
 العالمين وجهلوا جهلاً بالموازنة بينهما فلم يفهموا وجهه كما ان ابطال
 الاسرار مذهب الحشوية فالذي يجرد الظاهر حشوي والذي
 يجرد الباطن باطني والذي يجمع بينهما كامل ولذلك قال عليه السلام
 (للقرآن ظاهر وباطن واحد ومطلع) ربما نقل هذا عن موسى
 عليه السلام أقول موسى فهم من الامر بخلع النعلين اطراح لكونين ما يشاء
 الامر ظاهرًا بخلع نعليه وباطناً بخلع العالمين فهذا هو الاعتبار أي

العبور من شيء الى غيره ومن ظاهر الى سر وفرق بين من يسمع قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة فيقتني الكلب في البيت ويقول ليس الظاهر مراداً بل المراد تخلية بيت القلب عن كلب الغضب لانه يمنع المعرفة التي هي من انوار الملائكة اذ الغضب غول العقل وبين من يمثل الامر بالظاهر ثم يقول ليس الكلب بصورته بل بمعناه وهو السبعية والضراوة واذا كان حفظ البيت الذي هو مقر الشخص والبدن واجباً عليه ان يحفظ عن ضررة الكلبة فلأن يجب حفظ بيت القلب وهو مقر الجوهر الحقيقي الخاص من سر الكلبة كان اولى فان من يجمع بين الظاهر والباطن جميعاً فهذا هو الكامل وهو المعنى بقولهم الكامل من لا يظفيء نور معرفته نور ورعه وكذلك ترى الكامل لا يسمح لنفسه بترك حد من حدود الشرع مع كمال البصيرة فهذه مغلطة منها ما وقع لبعض السالكين في إباحة طي بساط الاحكام ظاهراً حتى ربما ترك احدهم الصلاة وزعم انه دائماً في الصلاة بسره وهذا أشد مغلطة الجمعاء من الاباحية الذين تأخذهم ترهات كقول بعضهم ان الله غني عن عملنا وقول بعضهم ان الباطن مشحون بالخبايا ليس يمكن تركيته

منها ولا مطمع في استئصال الغضب والشهوة لظنه انه مأمور باستئصالهما فهذه حماقات واما ما ذكرناه فهو ككبوة جواد وهنوة سالك صده الشيطان فدلاه بحبال الغرور وارجع الى حديث النعالي فاقول ظاهر خلع النملين منه على ترك الكونين فالمثال في الظاهر حق وإدوؤه الى السر الباطن حقيقة ولكل حق حقيقة واهل هذه الرتبة هم الذين بلغوا درجة الزجاجة كما سيأتي معنى الزجاجة لان الخيال الذي من طينته يتخذ المثل صلب كشين يحجب الاسرار ويحول بينك وبين الانوار ولكن اذا صفا صار كالزجاج الصافي وصار غير حائل عن الانوار بل صار مع ذلك مؤدياً للانوار بل صار مع ذلك حافظاً للانوار عن الانطفاء بعواصف الرياح فستأتيك قصة الزجاجة فاعلم ان العالم الكشيف الخيالي السفلي صار في حق الانبياء عليهم السلام زجاجة ومشكاة للانوار ومصفاة للاسرار ومرفاة الى العالم الاعلى وبهذا يعرف ان امثال الظاهر حق ووراء هذا سر وقس عليه الضوء والنهار وغيره (دقيقة) اذا قال عليه السلام رأيت عبد الرحمن بن عوف دخل الجنة حبوا فلا تظن انه لم يشاهده بالبصر كذلك بل رآه في يقظته كما يراه النائم في نومه وان كان عبد الرحمن بن عوف نائماً في البيت بشخصه

فان النوم انما اثر في امثال هذه المشاهدات لقهره سلطان الحواس عن
النور الباطن الالهي فان الحواس شاغلة وجاذبة الى عالم الحس وصارفة
وجهه عن عالم الغيب والمسلكت وبعض الانوار النبوية قد تصفى
وتستولى بحيث لا تجذبه الحواس الى عالمها ولا تشغله فيشاهد في
اليقظة ما يشاهد غيره في المنام لكنه اذا كان في غاية الكمال لم يقتصر
ادراكه على محض الصورة المبصرة بل عبر منها الى السرفا فكشف
له ان الايمان جاذب الى العالم الاعلى الذي يعبر عنه بالجنة والغنى
والثروة جاذبة الى الحياة الحاضرة وهي العالم الاسفل فاذا كان
الجاذب الى اشغال الدنيا اقوى مقاومة من الجاذب الآخر صدعن
السير الى الجنة فان كان جاذب الايمان اقوى اورث عسراً او
بطاً في سيره فيكون مثاله من عالم الشهادة الحبو فكذلك تنجلي
الاسرار من وراء زجاجات الخيال وذلك لا يقتصر في حكمه على عبد
الرحمن وان كان ابصاره مقصوراً عليه بل يحكم به عن كل من
قويت بصيرته واستحكم ايمانه وكثرت ثروته كثرة تراحم الايمان
لكن لا تقاومه لرجحان قوة الايمان فهذا يعرفك كيفية ابصار
الانبياء الصرور وكيفية مشاهدتهم المعاني من وراء الصور والاغلب
ان يكون المعنى سابقاً الى المشاهدة الباطنية ثم يشرف منه على

الروح الخيالي فينطبع بصورة موازية للمعنى محكية له وهذا الحظ
من اوحى في اليقظة يحتاج الى التأويل كما انه في النوم يفتقر
الى التعبير والواقع منه في النوم نسبته الى الخواص النبوية نسبة
الواحد الى ستة واربعين والواقع منه في اليقظة نسبته اعظم من
ذلك وأظن ان نسبته نسبة الواحد الى الثلاثة فان الذي انكشف
لنا ان الخواص النبوية تنحصر شعبها في ثلاثة اجناس وهذا واحد
من تلك الاجناس الثلاثة

(القطب الثاني في بيان مراتب الارواح البشرية النورانية إذ
يعرفها تعرف أمثلة القرآن) فالاول منها الروح الحساس وهو
الذي يتلقى ما توردته الحواس اذ كان أصل الروح الحيوان واوله
وبه يصير الحيوان حيواناً وهو موجود للصبي الرضيع . الثاني الروح
الخيالي وهو الذي يكتب ما أوردته الحواس ويحفظه مخزوناً عنده
ليعرضه على الروح العقلي فوقه عند الحاجة اليه وهذا لا يوجد للصبي
الرضيع في بداية نشوئه ولذلك يولع بالشيء لياخذ فاذ غيب عنه
ينساه ولا تنازعه نفسه اليه الى ان يكبر قليلاً بحيث اذا غيب عنه
بكى وطلب ذلك لبقاء صورته محفوظة في خياله وهذا قد يوجد لبعض
الحيوانات دون بعض ولا يوجد للفراس المتهافت على النار لانه

يقصد النار لشغفه بضياء النهار فيظن ان السراج كوة مفتوحة الى موضع الضياء فيلقي نفسه عليه فيتأذى به لكنه اذا جاوزه وحصل في الظلمة عاوده مرة أخرى بعد مرة ولو كان له الروح الحافظ المستثبت لما أداه الحس اليه من الالم لما عاوده بعد ان تضرر به مرة فالكلب اذا ضرب مرة بخشبة فاذا رأى الخشبة بعد ذلك هرب الثالث الروح العقلي الذي يدرك المعاني الخارجة عن الحس والخيال وهو الجوهر الانسي الخاص ولا يوجد للبهائم ولا الصبيان ومدر كاته المعارف الضرورية الكلية كما ذكرناه عند ترجيح نور العقل على نور العين الرابع الروح الفكري وهو الذي يأخذ العلوم العقلية المحضة فيوقع بينها تأليفات وازدواجات ويستنتج منها معارف نفيسة ثم اذا استفاد نتيجتين مثلاً ألف بينهما مرة أخرى واستفاد نتيجة مرة أخرى ولا تزال تتزايد كذلك الى غير نهاية الخامس الروح القدسي النبوي الذي به يختص الانبياء وبعض الاولياء وفيه تتجلى لواضع الغيب واحكام الآخرة وجملة من معارف ملكوت السموات والارض بل من المعارف الربانية التي تقصر دونها الروح العقلي والفكري واليه الاشارة بقوله تعالى (وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان

ولكن جعلناه نوراً نهيدي به من نشاء من عبادنا وانك تهدي الى صراط مستقيم) ولا يبعد ايها المعتكف في عالم العقل ان يكون وراء العقل طور آخر يظهر فيه ما لا يظهر في العقل كما لم يبعد كون العقل طوراً وراء التمييز والاحساس ينكشف فيه غرائب وعجائب يقصر عنها الاحساس والتمييز فلا تجعل أقصى الكمال وقفاً على نفسك وان اردت مثلاً مما تشاهده من جملة خواص بعض البشر فانظر الى ذوق الشعر كيف يختص به قوم من الناس وهو نوع ادراك ومحرم منه بعضهم حتي لا تميز عندهم الالحان الموزونة من المزخفة وانظر كيف عظمت قوة الذوق في آخرين حتي استخرجوا منها الموسيقى والاغاني وصنوف الدساتانات التي منها المحزن ومنها المطرب ومنها المنوم ومنها المبكي ومنها المجن ومنها القاتل ومنها الموجب للنفسى وانما تقوى هذه الآثار فيمن له اصل الذوق وأما العاقل عن خاصية الذوق فانه يشارك في سماع الصوت وتضعف فيه هذه الآثار وهو يتعجب من صاحب الوجد والنفسى ولو اجتمع العقلاء كلهم من ارباب الذوق على تهيمه معنى الذوق لم يقدروا عليه فهذا مثال في أمر خسيس لانه قريب الى فهمك فتس به الذوق الخاص النبوي واجتهد في أن تصير من أهل الذوق بشيء

من تلك الروح فان للاولياء منه حظاً وافراً فان لم تقدر فاجتهد
 أن تصير بالاقيسة التي ذكرناها والتشبيهات التي رمزنا اليها من اهل
 العلم بها فان لم تقدر فلا أقل من أن تكون من اهل الايمان بها
 (ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) والعلم فوق
 الايمان والذوق فوق العلم والذوق وجدان والعلم قياس والايمان
 قبول مجرد بالتقليد وحسن الظن باهل الوجدان أو بأهل العرفان
 واذا عرفت هذه الارواح الخمسة فاعلم انها بجملتها أنوار اذ بها
 تظهر أصناف الموجودات والحسي والخيالي منها وان كان يشارك
 البهائم في جنسها لكن الذي للانسان منهما نط آخر أشرف واعلى
 وخلقافي الانسان لغرض آخر اجل واسنى واما الحيوانات فلم
 يخلق لها الا ليكونا آلتها في طلب غذائها وتسخيرها للادميين
 وانما خلقا للآدمي ليكونا شبكة له يقتنص بهما في جهة العالم الاسفل
 مبادي المعارف الدينية الشريفة اذ الانسان اذا ادرك بالحس شخصاً
 معيناً اقتبس من عقله معنى عامّاً مطلقاً كما ذكرنا في مثال عبد
 الرحمن بن عوف فاذا عرفت هذه الارواح الخمسة فلنرجع الى
 غرض الأمثلة (بيان امثلة هذه الآية) اعلم ان القول في موازنة
 هذه الارواح الخمسة للمشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت

يمكن تطويله لكني اوجز واقتصر على التنبيه على طريقه فأقول
 اما الروح الحاس فاذا نظرت الى خاصيته وجدت انواره خارجة
 من ثقب عدة كالعينين والاذنين والمنخرين وغيرها فافوق مثال
 له في عالم الشهادة المشكاة واما الروح الخيالي فتجده خواص ثلاثة
 احداها انه من طينة العالم السفلي الكثيف لان الشيء المتخيل ذو
 مقدار وشكل وجهات محصورة مخصوصة وهو على نسبة من المتخيل
 من قرب او من بعد ومن شأن الكثيف الموصوف باوصاف
 الاجسام ان يحجب عن الانوار العقلية المحضة التي تنزه عن الوصف
 بالجهات والمقادير والقرب والبعد (الثانية) ان هذا الخيال الكثيف
 اذا صنف ورقق وهذب وضبط صار موازياً للمعاني العقلية محاذياً
 لها وغير حائل عن اشراق نور منها (الثالثة) ان الخيال في بداية امره
 محتاج اليه جداً لتنضبط له المعارف العقلية فلا تضطرب ولا تنزل
 ولا تنتشر انتشاراً يخرج عن الضبط اذ تجمع المثالات الخيالية
 للمعارف العقلية وهذه الخواص الثلاثة لا تجدها في عالم الشهادة
 بالاضافة الى الانوار المبصرة الا الزجاجة فانها في الاصل من
 جوهر كثيف لكن صنف ورقق حتى صار لا يحجب نور المصباح
 بل يؤديه على وجهه ثم يحفظه عن الانطفاء بالرياح العاصفة والحركات

العنيفة فهي اولى مثال به وأما الثالث وهو الروح العقلي الذي فيه ادراك المعاني الشريفة الالهية فلا يخفى عليك وجه تمثيلها وقد عرفت هذا مما سبق من بيان معنى كون الانبياء سراجاً منيراً واما الرابع وهو الروح الفكري فن خاصيته انه يبتدي من اصل واحد ثم يتشعب شعبتين ثم كل شعبة شعبتين وهكذا الى ان تكثر الشعب بالتقسيمات العقلية ثم يفضى بالآخرة الى نتائج تعود فتصير بذوراً لا مثالها اذ يمكن ايضاً تلقيح بعضها بالبعض فيكون مثاله من هذا العالم الشجرة واذا كانت ثمراتها مادة لتضاعف المعارف وثباتها وبقائها فبالخري ان لا تمثل بشجرة السفرجل والتفاح والرمان وغيرها من جملة سائر الاشجار الا بالزبتونة خاصة لان لب ثمرتها هو الزيت الذي هو مادة المصابيح ويختص من بين سائر الادهان بخاصية زيادة الاشرار واذا كانت الشجرة التي تكثر ثمرتها تسمى مباركة فالتى لا تنتهي ثمرتها الى حد محدود اولى ان تسمى شجرة مباركة واذا كانت شعب الافكار العقلية المحضة خارجة عن قبول الاضافة الى الجهات والقرب والبعد فبالخري ان لا تكون شرعية ولا غيرية واما الخامس وهو الروح القدسي النبوي والمنسوب الى الاولياء اذا كان في غاية الاشرار والصفاء وكانت الروح

المفكرة منقسمة الى ما يحتاج الى تعليم وتنبيه ومدد من خارج حتى يستمر في أنواع المعارف وبعضها يكون في شدة الصفاء كأنه تنبه من نفسه بغير مدد من خارج فبالخري ان يعبر عن الصافي القوي الاستعداد بان يكاد زيتته يضيء ولولم تسمسه نار اذ في الاولياء من يكاد يشرق نوره حتى يكاد يستغنى عن مدد الانبياء وفي الانبياء من يكاد يستغنى عن مدد الملائكة فهذا المثال موافق لهذا القسم واذا كانت هذه الانوار مرتبة بعضها على بعض فالخبي هو الاول وهو كالتوطئة والتمهيد للخيالي اذ لا يتصور الخيالي الا موضوعاً بعده والفكري والعقلي يكونان بعدهما فبالخري ان تكون الزجاجة كالحل للمصباح والمشكاة كالحل للزجاجة فيكون المصباح في زجاجة والزجاجة في مشكاة واذا كانت هذه كلها انوار بعضها فوق بعض فبالخري ان تكون نوراً على نور فافهم والله الموفق (خاتمة) هذا مثال انما يصلح لقلوب المؤمنين او لقلوب الانبياء والاولياء لا لقلوب الكفار فان النور يراد للهداية فالمصروف عن طريق الهدى باطل وظلمة بل اشد من الظلمة لان الظلمة لا تهدي الى باطل كما لا تهدي الى حق وعقول الكفار انتكست وكذلك سائر ادراكاتهم وتعاونت على الضلال في حقهم فمثالهم كرجل في بحر لحي يغشاه

موج من فوقه موج من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض
والبحر اللجى هو الدنيا بما فيها من الاخطار المهلكة والحوادث
الرديئة والمكدرات المعمية والموج الاول موج الشهوات
الباعثة الى الصفات البهيمية والاشتغال بالذات الحسية وقضاء
الاورطار الدنيوية حتى انهم يأكلون ويتهمون كما تأكل الانعام والنار
مشوى لهم فبالحري ان يكون هذا الموج مظلم لان حب الشيء
يعمي ويصم والموج الثاني موج الصفات السبعية الباعثة على الغضب
والدائرة والبغضاء والحقد والحسد والمباغة والتفاخر والتكاثر
وبالحري ان يكون مظلم لان الغضب غول العقل وبالحري ان
يكون هو الموج الاعلى لان الغضب في الاكثر مستول على
الشهوات حتى اذا ما جازى اهل عن الشهوات وانغل عن الذات
فان الشهوة لا تقاوم الغضب المائج أصلاً وأما السحاب فهو
الاعتقادات الخبيثة والظنون الكاذبة والخيالات الفاسدة التي
صارت حجاً بين الكافر وبين الايمان ومعرفة الحق والاستضاءة
بنور شمس القرآن والعقل فان خاصية السحاب ان يحجب اشراق
نور الشمس واذا كانت هذه كلها مظلمة فبالحري ان تكون ظلمات
بعضها فوق بعض واذا كانت هذه الظلمات تحجب عن معرفة

الاشياء القريبة فضلا عن البعيدة فلذلك تحجب الكفار عن معرفة
عجائب احوال النبي (صائم) مع قرب متناوله وظهوره بادنى تأمل
فبالحري ان يعبر عنه بانه اذا اخرج يده لم يكدر يراها واذا كان منبع
الانوار كلها من النور الاول الحق كما سبق فبالحري ان يعتقد كل
موحد ان من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ويكفيك هذا القدر
من اسرار هذه الآية فانفع

« الفصل الثالث » في معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان لله
سبعين حجاباً من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه
كل من ادركه بصره . في بعض الروايات سبعائة وفي بعضها سبعين
لنا فاقول ان الله تعالى متجل في ذاته بذاته لذاته ويكون الحجاب
بالاضافة الى محجوب لا محالة وان المجوئين من الخلق ثلاثة اقسام
منهم من يحتجب بمجرد الظلمة ومنهم من يحتجب بالنور المحض
ومنهم من يحتجب بنور مقرون بظلمة واصناف هذه الاقسام كثيرة
تتحقق كثرتها ويمكنني ان اتكلف حصرها لكني لا اثق بما يلوح
من تحديد وحصر اذ لا يدري اهو المراد في الحديث ام لا اما
الحصر الى سبعائة او سبعين الا فذلك لا تستقل به الا القوذة النبوية
مع ان ظاهر ظني ان هذه الاعدا مذكورة لا للتحديد وقد تجري

العادة بذكر اعداد ولا يراد بها الحصر بل التكثير والله اعلم بحقيقة ذلك فهو خارج عن الوسع وانما الذي يمكنني الآن ان اعرفك هذه الاقسام وبعض اصناف كل قسم فاقول القسم الاول هم المحجوبون بمحض الظلمة وهم الملحدة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وهم الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة لانهم لا يؤمنون بالآخرة اصلاً وهم اصناف صنف تشوق الى طلب سبب لهذا العالم فاحاله الطبع والطبع صفة مركوزة في الاجسام حالة فيها وهي مظلمة اذ ليس لها معرفة وادراك ولا خبر لها من نفسها ولا تصور لها وليس لها نور يدرك بالبصر الظاهر ايضاً . الصنف الثاني هم الذين شغلوا بانفسهم ولم يتفرغوا لطلب السبب بل عاشوا عيشة البهائم فكان حجابهم انفسهم المركوزة وشهواتهم المظلمة فلا ظلمة اشد من الهوى والنفس ولذلك قال تعالى « افرايت من اتخذ الهه هواه » وقال النبي « صلعم » الهوى ابغض اله عند الله وهؤلاء ينقسمون فرقاً فرقة زعمت ان غاية المطلب من الدنيا هي قضاء الاوطار ونيل الشهوات وادراك اللذات البهيمية من منكح ومطعم ومشرب وملبس فهؤلاء عبيد اللذة يعبدون لها ويطلبونها ويعتقدون ان نيلها غاية السعادة رضوا لانفسهم بان يكونوا بمنزلة البهائم بل

وهذا مذهب الاعراب وبعض الاكراد وكثير من الحمقى وهم محجوبون بظلمة الصفات السبعية لغلبيتها عليهم وكون ادراك مقصودهم اعظم اللذات وهؤلاء قنعوا بان يكونوا بمنزلة السباع بل أخس منها وفرقة ثالثة زعموا ان غاية السعادة كثرة المال واتساع اليسار لان المال هو آلة قضاء الشهوات كلها وبها يحصل للانسان الاقتدار على قضاء الاوطار فهؤلاء همهم جمع المال والاستكثار منه واستكثار الضياع والعقار والخيول المسومة والانعام والحراث فكنزوا الدنانير تحت الارض فترى الواحد يجتهد طول عمره يرتكب الاخطار في البراري والقفار ويتجشم مشاق الاسفار في البحار ويجمع الاموال ويشح بها على نفسه فضلاً عن غيره وهم المرادون بقوله عليه السلام تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم واي ظلم اعظم مما يلبس على الانسان ان الذهب والفضة حبران لا يرادان لعيانها وهما اذ لم تقض بهما الاوطار ولم ينفقا على المهمات فهما كالخصباء بمثابة واحدة وفرقة رابعة ترقى من جهالة هؤلاء وتعالى وزعمت ان أعظم السعادات اتساع الجاه والصيت وانتشار الذكر وكثرة الاتباع وتعود الامر المطاع فترى هؤلاء الى المرأة ينظرون حتى ان الواحد قد يجوع في يمينه ويتحمل الضر ويصرف ماله الى ثياب يتجمل بها عند خروجه

كيلا ينظر الناس اليه بعين الحقارة وهؤلاء الاصناف لا يحصون
 وكلهم محجوبون عن الله بمحض الظلمة وهي نفوسهم المظلمة ولا معنى
 لذكر آحاد الفرق بعد وقوع التنبيه على الأجناس ويدخل في جملة
 هؤلاء جماعة يقولون بلسانهم لا إله الا الله ولكن ربما جعله على ذلك
 خوف أو استظهار بالمسلمين أو نجمل بهم أو استمداد من ملهم أو
 لاجل التعصب لنصرة مذهب الآباء وهؤلاء اذا لم تحملهم هذه
 الكتابة على العمل الصالح فلا تخرجهم من الظلمات الى النور بل
 أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات فاما من أثرت
 فيه الكتابة بحيث ساءت سيئاته وسرته حسناته فهو خارج عن
 محض الظلمة وان كان كثير المعصية (القسم الثاني طائفة حجبوا
 بنور مقرون بظلمة وهم ثلاثة أصناف صنف منشأ ظلمتهم من
 الحس وصنف منشأ ظلمتهم من الخيال وصنف منشأ ظلمتهم من
 مقاييس عقلية فاسدة الصنف الاول المحجوبون بالظلمة الحسية
 وهم طوائف لا يخلو واحد منهم عن مجاوزة الالفت الى نفسه وعن
 التاله والتشوق الى معرفة ربه واول درجاتهم عبدة الأوثان وآخرهم
 الثنوية وينها درجات الطائفة الاولى عبدة الأوثان علموا في
 الجملة ان لهم رباً انزلهم الى نفوسهم المظلمة واعتقدوا ان

ربهم أعز من كل شيء وأتقن من كل قيس ولكن حجبتهم ظلمة
 الحس عن ان يتجاوزوا العالم المحسوس فاتخذوا من أتقن الجواهر
 كالذهب والفضة والياقوت اشخاصاً مصورة بأحسن الصور
 واتخذوها آلهة فهؤلاء محجوبون بنور العزة والجمال من صفات
 الله وأنواره ولكنهم الصقوها بالاجسام المحسوسة وسدهم عن ذلك
 النور ظلمة الحس فان الحس ظلمة بالاضافة الى العالم الروحاني كما
 سبق (الطائفة الثانية) جماعة من أقاصي الترك ليس لهم ملة ولا
 شريعة يمتدنون ان لهم رباً وانه أجل الاشياء واذا رأوا انساناً في
 غاية الجمال أو شجراً أو فرساً أو غير ذلك سجدوا له وقالوا انه ربنا
 وهؤلاء محجوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس وهم أدخل في
 ملاحظة النور من عبدة الأوثان لانهم يعبدون الجمال المطلق دون
 الشخص الخاص ولا يخصصونه بشخص دون شخص ثم يعبدون
 الجمال المطبوع لا المصنوع من جهة وبأيديهم الطائفة الثالثة) قالوا
 ينبغي ان يكون ربنا نورانياً في ذاته بهياً في صورته ذو سلطان في
 نفسه مهيئاً في حضرة لا يطاق الرب منه ولكن ينبغي ان يكون
 محسوساً اذ لا معنى لغير المحسوس عندهم ثم وجدوا النار بهذا النعنة
 فعبدوها واتخذوها رباً فهؤلاء محجوبون بنور السلطنة والبهاء وكل

ذلك من أنوار الله تعالى الطبقة الرابعة زعموا ان النار نستولى نحن عليها بالاشتعال والاطفاء فهي تحت تصرفنا فلا تصلح للالهية بل ما يكون بتلك الصفة أعني السلطنة والبهاء ثم نكون نحن تحت تصرفه ويكون مع ذلك موصوفاً بالعلو والارتفاع ثم كان المشهور فيما بينهم علم النجوم واطراف التأثيرات اليها فمنهم من عبد الشعري ومنهم من عبد المشتري الى غير ذلك من الكواكب بحسب ما اعتقدوه في النجوم من كثرة التأثيرات فهو لا محجوبون بنور العلو والاشراق والاستيلاء وهي من أنوار الله تعالى (الطائفة الخامسة) ساعدت هؤلاء في المأخذ ولكن قالت لا ينبغي ان يكون ربنا موسوماً بالصغر والكبر بالاضافة الى الجواهر النورانية بل ينبغي ان يكون أكبرها فعبدوا الشمس اذ قالوا هي أكبر هؤلاء محجوبون بنور الكبرياء مع بقية الانوار مقرونًا بظلمة الخواص (الطائفة السادسة) ترقوا من هؤلاء فقالوا النور كله لا تنفرد به الشمس بل غيرها أيضاً أنوار ولا ينبغي أن يكون للرب شريك في نورانيته فعبدوا النور المطلق الجامع لجميع الانوار وزعموا انه رب العالمين والخيرات كلها منسوبة اليه ثم رأوا في العالم شروراً فلم يستحسنوا اضافتها الى ربهم تنزيهاً له عن الشر فجعلوا بينه وبين الظلمة منازعة وأحالوا العالم الى النور والظلمة

وربما سموها (يزدان واهر من) وهم الثنوية فيكفيك هذا القدر تنبيهاً على هذا الصنف فهم أكثر من ذلك (الصنف الثاني) المحجوبون ببعض الانوار مقرونًا بظلمة الخيال وهم الذين جاوزوا الحس وأثبتوا وراء المحسوسات أمراً لكنهم لم يمكنهم مجاوزة الخيال فعبدوا موجوداً قاعداً على العرش وأخسهم رتبة المجسمة ثم أصناف الكرامية بأجمعهم ولا يمكنني شرح مقالاتهم ومذاهبهم فلا فائدة للتكثير ولكن أرفعهم درجة من نفي الجسمية وجميع عوارضها الا الجهة المخصوصة بجهة فوق لأن الذي لا ينسب الى الجهات ولا يوصف بأنه خارج العالم ولا داخله لم يكن عندهم موجوداً اذ لم يكن متخيلاً ولم يدركوا ان أول درجات المعقولات تجاوز النسبة الى الجهات والخيال (الصنف الثالث) المحجوبون بالانوار الالهية مقرونة بمقاييس عقلية فاسدة مظلمة فعبدوا إلهاً سمياً بصيراً عالماً قادراً مريداً حياً منزهاً عن الجهات لكنهم فهموا هذه الصفات على حسب مناسبة صفاتهم وربما صرح بعضهم فقال كلامه حروف وأصوات ككلامنا وربما ترقى بعضهم فقال لا بل هو كحديث نفسنا ولا حرف ولا صوت وكذلك اذا طولبوا بحقيقة السمع والبصر والحياة رجعوا الى التشبيه من حيث المعنى وان أنكروها باللفظ اذ لم يدركوا أصلاً معاني هذه

الاطلاقات في حق الله تعالى ولذلك قالوا في ارادته انها حادثة
مثل ارادتنا وانه طلب وقصد مثل قصدنا وهذه مذاهب مشهورة
فلا حاجة الى تفصيلها وهؤلاء محجوبون بجملة من الانوار مع ظلمة
المقاييس العقلية الفاسدة فهؤلاء كلهم أصناف القسم الثاني الذين
حجبوا بنور مقرون بظلمة « القسم الثالث » هم المحجوبون بمحض
الانوار وهم أصناف ولا يمكن احصاؤهم فأشير الى ثلاثة أصناف منهم
الصنف الاول عرفوا معنى الصفات تحقيقاً وأدركوا ان اطلاق اسم الكلام
والارادة والقدرة والعلم وغيرها على صفاته ليس مثل اطلاقه على البشر
فتحاشوا عن تعريفه بهذه الصفات وعرفوه بالاضافة الى المخلوقات كما
عرف موسي في جواب قول فرعون وما رب العالمين فقالوا ان الرب
المتقدس عن معاني هذه الصفات محرك السموات ومدبرها (الصنف
الثاني) ترقوا عن هؤلاء من حيث ظهر لهم ان في السموات كثرة
وان محرك كل سماء خاصة موجود آخر يسمى ملكا وفيهم كثرة
وانما نسبتهم الى الانوار الالهية نسبة الكواكب في الانوار
المحسوسة ثم لاح لهم ان هذه السموات في ضمن فلك آخر يتحرك
الجميع بحركته في اليوم واليلة مرة فالرب هو المحرك للجرم الاقصي
المحتوى على الافلاك كلها اذ الكثرة منفية عنه (الصنف الثالث)

ترقوا عن هؤلاء وقالوا ان تحريك الاجسام بطريق المباشرة ينبغي
ان يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له وطاعة من عبد من عبيده
يسمي ملكا نسبتهم الى الانوار الالهية المحضة نسبة القمر الى الانوار
المحسوسة فزعموا ان الرب هو المطاع من جهة هذا المحرك ويكون
الرب تعالى وجد محركا للكل بطريق الامر لا بطريق المباشرة
ثم في تقسيم ذلك الامر وماهيته غموض يقصر عنه اكثر
الافهام ولا يحتمله هذا الكتاب فهؤلاء أصناف كلهم محجوبون
بالانوار المحضة وانما الواصلون صنف رابع تجلى لهم أيضاً ان هذا
المطاع موصوف بصفة تنافي الوحدانية المحضة والكمال البالغ لسر
ليس يحتمل هذا الكتاب كشفه وان نسبة هذا المطاع الى الوجود
الحق نسبة الشمس الى النور المحض أو نسبة الجمر الى جوهر النار
الصرف فتوجهوا من الذي يحرك السموات ومن الذي أمر
بتحريكها فوصلوا الى موجود منزه عن كل ما أدركه بصر
الناظرين وبصيرتهم اذ وجدوه منزهاً ومقدساً عن جميع ما
وصفناه من قبل ثم هؤلاء انقسموا فثمة من احترق منه جميع ما
أدركه بصره وانمحق وتلاشى ولكن بقي هو ملاحظاً للجمال والقدس
وملاحظاً ذاته في جماله الذي ناله بالوصول الى الحضرة الالهية

فانمحت فيه المبصرات دون المبصرو جاوز هؤلاء طائفة منهم خواص
 الخواص فاحرقتهم سبحات وجهه الاعلى وغشيم سلطان الجلال
 وانمحقوا وتلاشوا في ذاتهم ولم يبق لهم لحاظ الى أنفسهم لغنائهم عن
 أنفسهم ولم يبق الا الواحد الحق وصار معنى قوله كل شيء هالك الا
 وجهه لهم ذوقاً وحالاً وقد أشرنا الى ذلك في الفصل الاول وذكرنا
 انهم كيف اطلقوا الاتحاد وكيف ظنوه فهذه نهاية الواصلين ومنهم
 من لم يتدرج في الترقى والعروج عن التفصيل الذي ذكرناه ولم يطل
 عليه العروج فسبقوا من أول وهلة الى معرفة القدس وتنزيه الربوبية
 عن كل ما يجب تنزيهه عنه فغلب عليهم اولا ما غلب على الآخرين
 آخراً وهجم عليهم التجلي دفعة فأحرق سبحات وجهه جميع ما
 يمكن ان يدركه بصر حسي او بصيرة عقلية ويشبه ان يكون الاول
 طريق الخليل والثاني طريق الحبيب صلوات الله وسلامه عليهما والله
 اعلم باسرار اقدامهما وانوار مقامهما فهذه اشارة الى اصناف المحجوبين
 ولا يبعد ان يبلغ عددهم اذا فصلت المقامات وتتبع حجب السالكين
 سبعين الفا ولكن اذا تشتت لا تجدوا واحداً منهم خارجاً عن الاقسام التي
 ذكرناها فانهم اما محتجبون بصفات البشرية او بالحس او بالخيال
 او بمقاييس العقل او بالنور المحض كما سبق فهذا ما حضرني في جواب

هذه الاسئلة مع ان السؤال صادق والفكر منقسم والخاطر متشعب
 والهم الي غير هذا الفن منصرف ومقترحي عليه ان تسأل
 لي العفو عما طغى به القلم او زلت به القدم فان خوض
 غمرة الاسرار الالهية خطير واستكشاف الانوار
 العلوية من وراء الحجب عسير
 غير يسير والحمد لله رب العالمين
 وصلى الله على سيدنا
 محمد وآله الطيبين

الطاهرين

تم



﴿ ترجمة ﴾

« الامام حجة الاسلام الغزالي »

اذا كان المرء انما يشرف بذكائه لا بكسائه وبأدبه لا بذهبه
وكان الناس ابناء ما يحسنون فالامام حجة الاسلام أبو حامد الغزالي
في أول صف من صفوف أهل الشرف والفضل وأصحاب المكانة
والنبيل

واذا كان العلماء سرج الازمنة كل واحد منهم مصباح يستضيء
به أهل زمانه فذلك الامام من أنور تلك المصاييح وأعظم تلك
السرج (ولد هذا الخبر المنطيق والبحر الزاخر العميق باحدى قري
طوس من أعمال خراسان في منتصف القرن الخامس . صافي
الجوهر نفيس المعدن عالي الهمة فايق الفطرة عميق الفكر بعيد
الفور فما بلغ سن التمييز حتي صار يحسن القراءة والكتابة أعني ما
يخرج به الانسان عن ان يكون امياً فعني ابوه بتربيته بلبان العلوم
الدينية التي كانت مشهورة ومعتبرة لذلك الوقت واخذ ذهنه
(المعروف) يتلمس السبيل المؤدية الى المعرفة الحقيقية ويتحسس
تور الحق الصريح
درس اطرافاً من الفقه واخذ بيدايات العلوم في بدء امره

بطوس على احمد الراذكاني وقدم جرجان واختلف الى الامام ابي
نصر الاسماعيلي حتي علق عنه التعليقة ثم رحل الى نيسابور فصادف
فيها شيخ وقته محمد الجويني المعروف بالامام الحرمين وكان ذلك
الامام ممن خف فيهم قيد التقليد ولم يثقل به عقال التقيد وكان له
من حرية الفكر بعض نصيب فصار ذلك محركا للفطرة الغزالية
وموقدا لتلك النار الطوسية - كمل الغزالي على ذلك الامام ما كان
قد اخذ اطرافه على احمد الراذكاني فآتاني على جميعها من فقه واصول
وخلاف وكلام وغيرها حتى شئت نفسه تلك التقاليد ونهض لاطلاق
نفسه من ذلك الاثر الشديد والبحث عما تنبعث اليه النفس الانسانية
من ذاتها ويكون لها فيه سعادتها ولذاتها نظر حوله فرأى اختلاف
الخلق في الاديان والملل وتفرقهم في المذاهب والنحل على كثرة
الفرق وتعدد الطرق وكل فريق يزعم انه الناجي (وكل حزب بما
لديه فرحون) وليس لدى كل فرقة ما يدعو الى شدة التمسك
والحفاظ الا للنشأة والوراثة والتقليد اذ رأى صبيان النصاري لا
يكون لهم نشوء الا على التنصر وصبيان اليهود لا نشوء لهم الا على
اليهود وصبيان المسلمين لا نشوء لهم الا على التمسك وكان قد سمع
الحديث المشهور (كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه

وينصرانه ويمجسانه)

امعن النظر في ذلك طويلا وتأمله اجمالا وتفصيلا ثم رجع الى نفسه فرائ ان اثار تقليد علي تقليد خرق وخيال وحمق وضلال فلم يبق الا رتبة النظر والاستقلال ولما عاود الفكرة كرة اخرى وجد ان اعظم العقبات التي كانت في طريق الانبياء والمرسلين هي تقليد الوالدين والاستاذين والجمود علي تراث الغابرين فانكسرت زجاجة تقليده وانحلت عن قلبه عقدة لتقييده وتحرك باطنه الى طلب حقيقة الفطرة الاصلية تلك الفطرة التي يعرفونها في اوائل فن الميزان بانها الحالة التي يكون فيها الانسان مجردا عن العقائد الوراثية والآراء التلقينية القومية ومنقطعا عن احكام الوهم التي لم يؤيده فيها عقل صريح وفكر صحيح فعلم علي الجزم واليقين بذلك الطريق التي لا يعوزها التنوير والتبيين ان العلم الحقيقي والادراك اليقيني هو الذي ينكشف فيها المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط ولا يتسع القلب لتقدير ذلك بل الامان من الغلط ينبغي ان يكون مقارنا له مقارنة لو تصدى لاظهار بطلانه من يقب الحجز ذهباً والعصا ثعباناً لم يورث ذلك شكاً ونكراً وبذلك وضع ابو حامد بينه وبين الظواهر الملية بالمناقضة للعلم حاجزاً حصيناً فلم تعد تجد الى

ذهنه سبيلا وكان حاله هذا مصداق الحديث المأثور (الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا) ومثله الآية الكريمة (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد)

تلقى ابو حامد علي استاذته المشار اليه جميع الفنون الدينية فاتقنها وبرز فيها علي اقرانه حتى صار من الاعيان المشار اليهم في زمن استاذته فكان يتمدح به ولم يزل ابو حامد ملازماً له وهو يعد في المقام الاول من مقامات النظار واهل النظر والاعتبار الى ان توفي الاستاذ سنة سبع وسبعين واربعائة فخرج من نيسابور الى المعسكر (وقد صار ممن يعقد عليه الخناصر) فلقى الوزير نظام الملك فآكرمه وبالع في الاقبال عليه وكان بحضرة الوزير جماعة من الافاضل فجرت بينه وبينهم عدة مناقشات ظهر فيها عليهم فاعجب به اهل العراق واشتهر اسمه في الآفاق وسارت بذكره الركب ان وصار ممن يشار اليهم بالبنان وكان له اخ يدعى احمد ويلقب بجمال الاسلام مع ما لابي حامد من هذه المكانة لا يأتي به في الصلاة علي حين كان الالوف من العامة والخاصة تصطف خلفه صفوفاً فشكا الى امه ما يجده من اخيه وانه بذلك يكاد يحدث ريباً فيه لما كان لذلك الاخ من شهرة الصلاح والتقوى وسألها ان تأمره بما يفعله الناس

وتعددت منه الشكاية والاحلاف في الطلب فالحلت امه عليه المرة
بعد الاخرى في قبول ذلك فقبل على شريطة ان ينفرد عن الصفوف
ورضى الامام بالشرط فلما حضر وقت احدي المكتوبات قصد
الامام المسجد وذهب اخوه في اثره حتى اذا احرم الامام وأحرم
وراءه الناس تبعه جمال الاسلام على بعد وبينما هم في اثناء الصلاة
اذ قطعها جمال الاسلام فكانت هذه البلية اشد من الاولى وحينما
سئل عن السبب اجاب بانه ليس في الامكان اقتداؤه بامام ملء
قلبه الدم مشيرا الى خسة من يتعاطى صناعة علماء الدنيا .. تلك
الصناعة التي معظمها الغرض والتقدير والبعد عن مقصد الشارع
الخبير وتقرع الفروع النادرة واجتناب النظر الى ما يرمي اليه التشريع
من الاسرار واتفق ان ابا حامد كان يفكر اذ كان يصلي في مسألة
المتحيرة فبغض ذلك اليه تلك الفئوز التي امضي شطرا من عمره فيها
وعظم فيه ذلك الفكر الاول ففكر الحرية وقوي فيه بعد ان كان
في دور الطولية فاقبل على مطالعة فن الكلام بدنة نستوقف الفكر
وتدهش الناظر عما يجد فيها ما يشني من علته فحصله احسن تحصيل
وصنف فيه ما شاء من التصانيف لكنه صادفه صنعة لا تقي بما
قصد اليه ولا تقرب مما حوم عليه اذ كان متصودها حفظ عقيدة

العامية وحرصتها عن تشويش المبتدعة حراسة اعتقدوا فيها على
مسلمات خصومهم التي اضطرهم الي تسليمها اما التقليد او اجماع
الامة او مجرد القبول من ظواهر الكتاب والسنة فكان اكثر
خوضهم في . واخذتهم بلوازم مسلماتهم وذلك عديم النفع في جانب
من طلب الحقائق المبرهنة فلم يكن الكلام في حقه كافيا ولا لداء
التعطش الى ماء الحقيقة شافيا وليس فيه ما ينجي من ظلمات
الحيرة في اختلافات الخلق بل الحرص على ما اتوا من الرزق
ولذلك اذا خرج بحثهم عن دائرة الرد على المبتدعة الى تقرير حقيقة
وازام من لا يعترف معهم بلوازم مسلماتهم كان كلامهم فيه من
أضعف الكلام واركه ولنأت في ذلك بمثال يظهر منه جليلة الحق
خاض المتكلمون في اثبات الوجود للصانع من طريق حدوث
العالم ففي طريق البرهنة على الحدوث والرد على القائمين بالقدم
قرروا ان العالم منقسم الى الجواهر والاعراض وان الاعراض حادثة
بالمشاهدة وما لازم الحادث فهو حادث بالبداهة فما انتهى بيانهم
الى هذا الحد وظنوا انهم ظفروا بالرد حتى اأجاءهم الخصم بان
هذا لا يجدي نفعا ولا يعني من الحق شيئا فان القضية القائلة ما
لازم الحادث فهو حادث انما تصدق اذا كان الحادث حادثا بالنوع

والشخص أما إذا كان حادثاً بالشخص قديماً بالنوع فلا تصدق
البتة فلما صدمهم الخصم بهذه الصدمة الجبلية تصادمت آراؤهم في
الاجابة فقال قوم ان النوع لا تحقق له الا في ضمن اشخاصه
فحكمه حكمها فما انتهى هذا الفريق من جوابه حتى صفق الخصم
واغرب في الضحك فان النوع وان كان لا تحقق له الا في ضمن
اشخاصه فله من الاحكام ما يغير احكامها فقد نرى الورد يستمر
اياماً عديدة واوقات مديدة مع ان الوردة الواحدة لا تكاد تكمل
يومها ولان المقصود من قدم النوع ليس الا عدم تناهي الاشخاص
وهل يقول عاقل انه يلزم من تناهي البعض تناهي الكل فالخصم
لامرية في ان هذا الرد في آن رده قد ذهل عن عقله واجاب
فريق آخر وآخر بمثل هذا او أقوى قليلاً مما اذا فصلناه خرجنا
عما نحن بصددده الى فن آخر مبسوط في كتبه وعند ذلك كان ذلك
الخصم يحتاج عليهم بهذه الكلمات الثقيلة (مهما اعترقم بوجود ازلي
قديم كامل فكل هذه البراهين التي ائتموها على استحالة اللاتناهي
تذهب في الهواء لان التسلسل انما يستحيل اذا كان بالذات اما
بالعرض وتبعاً لقديم أزلي فلا ولان هذا الصانع اذا كان من الكمال
يحيث لا يعوزه شيء فتعطله عن الفيض مدة غير متناهية ضرب من

المحال البين بنفسه ومثل هذه الادلة قال الفخر في قصيدته مشيراً
وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فأتوا والجبال جبال
وليس المقصود من هذه الكلمات أن نضع من قدر صناعة
الكلام بل المقصود ان نبين مرتبة ما اشتملت عليه من الاستدلال
ولذلك قال ابن عربي قدس سره ان المتكلمين يطايون المشاغبة في
في اللوازم ولازم المذهب ليس بمذهب فيخترعون اموراً يزعمون
انهم يردون على خصم وانما نزاعهم مع أنفسهم (وقال أبو حامد
في جواهر القرآن مانصه ومقصود هذا العلم (يعني فن الكلام)
حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة ولا يكون ملباً بكشف
الحقائق انتهى وفي سنة أربع وثمانين وأربعمائة فوض اليه الوزير
تدريس المدرسة النظامية فأقبل اليه الطلبة وانثالوا عليه وكان
يجلس بدرسه من الاعيان المدرسين في بغداد ثلاثمائة ومن ابناء
الامراء أكثر من مائة وصادف ذلك فراغه من فن الكلام وبعد
ان صنف فيه عدة تصانيف منها كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وكان
قد قرأ في ذلك الفن مالم متكلمين على الحكماء من الردود والنمود
فحركه ذلك لصرف العناية الى مطالعة فنون الحكماء على تعددها
وتشعبها اذ علم يقيناً أنه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا

يقف على منتهي ذلك العلم حتى يساوي أعلمهم فيه ثم يزيد عليه
ويجاوز درجته فيطلع على ما لم يطلع عليه صاحب العلم من غورة
وغائلة هنالك يمكن ان يكون ما يدعيه من فساد حقا ما راد المذهب
قبل فهمه والاطلاع على كنهه كما وقع للمتكلمين فرمى في عمية
ولذلك شمر عن ساق الجد في تحصيل ذلك العلم وأقبل عليه بهمة
قوية وعزيمة شديدة ونشاط متواصل في أوقات فراغه من التصنيف
والتدريس في العلوم الشرعية بالمدرسة النظامية وابتدأ النظر والدرس
بالرياضيات عملا بما اوجبه الحكماء من استفتاح التعلم والتعليم بها
لتأنس النفس بالبرهان ويتربى فيها ذوقه حتى اذا جاءت الى النظريات
الدقيقة أدركت الحق فيها على يسر ثم ثني بالمنطقيات وثلاث بالطبيعات
والآلهيات وختم بالاخلاقيات والسياسيات وكان لا تقتر له همة في
مذاكرة كل موسوم بهذا الفن معروف به سواء المتبحر فيه والآخذ
بطرف منه ومما يحكى في هذا الباب انه دخل على عمر الخيامي يوما
وسأله عن المرجح لتعيين نقطة من نقط الفلك للقبطية دون سواها
مع تشابه جميع اجزائه وكان ذلك الحكيم مع تبخره في فنون الحكمة
له ضنة بالتعليم والافادة وكان يأتي بالمقدمات البعيدة في جواب
ما يسأل عنه بخلا بالاسراع الى الجواب فطول في الجواب وابتدأ

الكلام بان الحركة من أي مقولة حتى أذن الظهر فقال الغزالي قد
جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقام فخرج وبالجمله
فقد صرف أبو حامد همته لتحصيل ذلك العلم طلبا للوصول الى
اكتناه اسراره والبلوغ الى منتهى اغواره اذ من لم يفهم كيف يمكنه
ان يقبل او يرد فلم يكن الا ثلاث سنين حتى اطلع على كنه مقاصده
وانكشف له منتهى سرائره بيد انها كمنت في اعماق قلبه فلم تبرز
من مكن الفكر الى عالم الدعوة والذي كراضطره الى ذلك حفظ
المركز والحرص على بقاء الاسم - في ذاك الوقت كان في الناس
حزبان متطرفان احدهما ينكر على الفلاسفة جميع علومهم
حتى ما كان منها بديهي الصحة جلي البرهان والآخر يقبل كل ما
يسمعه عنهم بمجرد التقليد وحسن الظن لا غير فهب بحكم ما انطبع
عليه من بغض الاسترقاق والعبودية والجنوح الى النظر الحرو والفكر
المستقبل لمحاربة تلك التطرفات حربا علمية فانكر على الطائفة الاولى
بقوله ان الدين اذا كان ينبغي ان ينصو بانكار كل علم منسوب الى
الحكماء وادعاء غلطهم فيها حتى انكار مثل قولهم في الخسوف
والكسوف وزعم ان ما قالوه على خلاف الشرع كان الدين اذا
حينئذ على الجمل وانكار البرهان القاطع وهذا مما لا يشتبه في فساده

ولقد عظم على الدين جناية من ظن ان الاسلام ينصر بانكار العلوم
الرياضية وامثالها من البرهانيات اذ ليس في الشرع تعرض لهذه
العلوم ولا في هذه العلوم تعرض للامور الدينية ولان ما ارى اليه
البرهان لا يعارض الدين الصحيح اذ الحق لا يضاد الحق واما
الطائفة الاخرى فقد رد عليها في قولها لو كان الدين حقاً لما خفي على
هؤلاء مع دقة علومهم ورزانة عقولهم قال ابو حامد وكم رأيت ممن
ضل عن الحق بهذا القدر ولا مستند له سواه وهذا الرد من وجهين
الاول انكار نسبة الجحود الى الحكماء اذ قد اتفق كل مرموق من
الاولاء والاواخر علي الايمان بالله واليوم الآخر وانما الخلاف في
التفصيل الوجه الثاني انه لا يلزم من اصابة شاكلة الحق في موضع
اصابته في سائر المواضع ولا يلزم ان يكون الحاذق في صنعة حاذقاً
في بقية الصنائع فلا يلزم ان يكون المتقن في الرياضيات مصيباً
في الالهيات ولان حاصل ما ذكرتموه يرجع الى التميز الى الفسحة
الفاضلة بظنكم والانحراف في سلكهم والترفع عن رتبة الجماهير والدهماء
والاستنكاف من القناعة باديان الالباء ولم يري ان هذا هو التقليد
بمعينه بل اشنع انواعه اذ اية رتبة في داء الله اخس من رتبة من
يظن ان الانتقال من تقليد الى تقليد جمال ولا تتطاع نفسه الى البحث

والاستدلال والبأسه من العوام بم عزل عن فضيحة هذه المهواه
فالبله اذنى الى الخلاص من فطانة بتراء والمعنى اقرب الى السلامة
من بصيرة حولاء وليبان ان ما ذكره الحكماء في الالهيات قابل
للمجدل والمحااجة الف كتابة تهافت الفلاسفة اشعاراً لا مثال هؤلاء
فساد الشرع الى قبول كل ما يروي ويسمع وانه لا يصح ان تؤخذ
المذاهب مسلمة بمجرد سماعها ومن اول وهلة بدون اجراء مناقشة
فيها وتحريك للذهن في مجاريها والا فهو معترف في كتابه جواهر
القرآن بان كتاب التهافت ليس فيه الا الجدل ولا المقصود منه الا
الالزام ولما الف ابو حامد كتابه التهافت اصبح بذلك سلطان الوقت
وبعبارة اجلى اضحى امام المتكلمين وشيخ المناضلين عن الاسلام بل
عن عموم الاديان في هذه الظروف والاوقات اظهر ابن الصباح
دعوته واشاع مقالته حتي تبعه خلق كثير فاستظور بالرجال وتحصن
بالقلاع (وواقته بقلعة الموت مشهوره) فاشتد به ازر الباطنية وتقوى
اظهرهم فعم شرهم وطار شرهم فورد عليه امر جاذم من حضرة
الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم وانضم ذلك
الياباعث الخارجي الى ما انطوى عليه من الميل الى استكشاف اسرار
المذاهب فصار يبحث عن ذلك ضربة لازب فابتدأ يطلب كتبهم

وجمع مقالاتهم فلم يكن الا قليل حتى اكتبه كتبها وهتك
سترها واستطلع سرها وصنف في الرد عليهم ولم يأل جهدا في ذلك
وهنا نرى القاري متشوقا الى معرفة بعض الشيء عن هذه الفرقة
(الباطنية لذلك نقول

في أواخر القرن الاول من الهجرة ظهر شخص يدعى بعبد
الله بن ميمون القداح اتسع علمه وكثرت معارفه حتى اطلع على
جميع مقالات العالم فنزل بالاهواز ودعا الناس الى الامام محمد بن
اسماعيل مؤسس دعوته على ركنين الركن الاول ان للشرعية بواطن
خفية وفيها غوامض غير جليلة فاتت على الاكثرين وان الدين سر
مكتوم لا يدركه الا من امتحن الله قلوبهم للتقوى وان الاكثرية
جاهلون وله منكرون (الركن الثاني) ان هذه البواطن انما هي عند
الائمة اوصياء صاحب الشرع من بعده فيجب ان تؤخذ عنهم
وتتلقى منهم وان الآفة التي نزلت بالامة وفرقت الكلمة وأحدثت
الاهواء المضلة انصرف الناس عن ائمة نصبوا لهم وأقيموا حافظين
لشرائعهم يؤدونها على حقيقتها ويحفظون معانيها ويمرفون بواطنها
وانه لو علمت الامة ما اختص به الائمة من العلم لم يحدث شغب
ولا شقاق ولا كان فيها افتراق ونشأ فلما أظهر دعوته أنكرها

الناس عليه وهموا به فقر الى البصرة ومعه من أصحابه الحسين
الاهوازي ولما انتشر ذكره بها طلب فسار الى الشام وأقام بسلمية
وبها ولد له ابن سماه أحمد فقام بعد وفاة أبيه بالدعوة وسير الحسين
الاهوازي داعية له الى العراق فلقى رجلا يدعى حمدان بن قمرط
فاستجاب له وقام بالامر واليه نسبت هذه الفرقة واشتهر مذهبه
بالعراق وادعى علم الباطن ثم قام بالبحرين منهم أبو سعيد الجنابي
من أهل جنابه وابنه أبو طاهر الحسن بن بهرام وأبو جعفر محمد
بن علي الشلمغاني — فاما ابن الشلمغاني فعند ما طالب استتر وفر الى
الموصل وبعد ان أقام بها سنتين انحدر الى بغداد وظهر منه انه
يدعى الربوبية واتبعه على ذلك جماعة قليل منهم الحسين بن القاسم
وزير المقتدر العباسي وابراهيم بن احمد بن ابي عون وابن عبدوس
فقبض عليه ابن مقله واستفتى الخليفة في امره فافتى بقتله فأحرق
بالنار وضربت عنق ابن ابي عون اما ابن عبدوس فقبوا منه واما
ابو طاهر بن ابي سعيد الجنابي فكان يظهر العيادة والتشف ويسف
الخصوص ويأكل من كسبه ويدعو الناس الى الامام من آل البيت
فاستجاب له خلق كثير وعظمت دولته ودولة بني من بعده حتى
اوقعوا بعساكر بغداد واخافوا خلفاء بني العباس وانتشرت دعائهم

بالافتار فدخلت جماعات متكاثرة في دعوتهم ومالوا الى قولهم ولما انتهى الناس الى القرن الخامس ظهر الحسن ابن الصباح وهاجر الى بلاد امام وتلقى منه كيفية الدعوة لآبناء زمانه ثم عاد ودعا الناس الى تعيين امام صادق وكتب كتاباً بدأه بفصول اربعة يذكر فيها احتياج الناس في المعارف الالهية الى معلم صادق يجب تعيينه ومعرفة عينه وتبين صدقه وان الفرق بين الفرقة المحقة والمبطل ان الاولى اتباع الامام والثانية اتباع الراي والهوى ثم يذكر بعد ذلك فصلاً يقول فيه ان علامة الحق الوحدة وعلامة الباطل الكثرة وان الوحدة مع التعليم والكثرة مع الراي وبالجملة فمحوره الذي يدور عليه في كل مقاله اثبات المعلم المعصوم وان التوحيد هو التوحيد والنبوة معاً حتى يكون توحيداً وان النبوة هي النبوة والامامة معاً حتى تكون نبوة ثم انه منع العوام عن الخوض في الالهيات والزمهم ان لا يزيدوا اذا سئلوا عن الصانع على القول بان الهنا هو اله محمد الذي أرسله بالهدى وهو الهادي اليه هذا مجمل تعاليم ابن الصباح التي اشتهرت بالدعوة الجديدة . أما تاريخ حياة الرجل فهو كما يأتي

كان الحسن بن الصباح مع عمر الخيامي ونظام الملك في مدرسة

واحدة فاصطحب الثلاثة مدة ثم تعاهدوا فيما بينهم على ان اذا تقدم أحدهم في الدولة وتقلد منصباً عالياً ساعد الآخرين حتى ترقى نظام الملك وتربع في دست وزارة السلطان سنجر السلجوقي فقال لصاحبه اذن لكما ما شئتما فطلب عمر ان يعيش عيش الراحة والرفاهية بنيسابور فأجيب ان طلبه وطلب الحسن الولاية أعطاه همدان ودينور ولكنه مع ذلك اشتعلت نار الحسد والغيرة في قلبه فاضمر الشر وأصر على الاحتيال لاخذ الوزارة من نظام الملك فاصطحب مع نداء الملك ثم تحدث معهم في شأن الدولة وعرفهم احتياجها الى دفتر محتو على الصادر والوارد فأخبروا الملك بذلك فأحضر الوزير وطلب منه ذلك الدفتر فاستعمل السلطان سنة ليتمكن من اتقانه فامره فانتزع الحسن الفرصة وحضر لدي الملك وعرفه بمقدرته على كتابته في مدة اربعين يوماً فأجابه وعند ذلك شرع ابن الصباح في عمله ولما رأى نظام الملك ان الحيلة كادت ان تتم اقترح على خادمه ان يصطحب مع خادم ابن الصباح وقال له اذا تم الدفتر وأخذ الخادم الى الملك لينظره احتل انت على خادم الحسن واطلب منه ان تنظره فاذا أعطاك اياه فارمه الى الارض متظاهراً بسقوطه رغماً عن أهلك حتى يتبدد نظامه فلما تم الدفتر

على ما يرام فعل الخادم كما أمره الوزير وذهب به خادم الحسن الى الملك واذراه الملك كتاباً مدشناً مختلطاً لا نظام له أخذ في تعنيف الحسن وتوبيخه وقال ان هذا تلاعب بالسلطنة فاضطرب واختلج لسانه وظهر للملك كذبه وكان الوزير حاضراً فقال للملك ألم أقل لحضرة السلطان ان دولة كبيرة كهذه الدولة لا يمكن كتابة دفتر لها منظماً الا في مدة ستة على الاقل فالذي يلتزم ان يكتبه في اربعين يوماً لا يجيب الا (بهام - هوم) فطرد السلطان الحسن من المجلس بعد جلده ففر الحسن الى رودبار من أعمال جيلان واختلف على عبد الملك عطاس رئيس من دعاة الاسماعيلية ثم سافر من رودبار الى اصفهان ونزل عند رجل يقال له الرئيس أبي الفضل وصار يبلغه مذهب الاسماعيلية حتى اذا طالت مدته معه قال له الحسن يوماني لو اتفق معي اثنان ليمكنتني ان أجعل سلطنة السلاجقة في خبركان فحسبه الرئيس مجنوناً وخطط طعامه بدواء الما ليخوليا فادرك الحسن ذلك وفر الى مصر في أيام خلافة المنتصر فاشفق عليه الخليفة وأكرمه ووجه اليه نظر العناية ومكث عنده سنة ونصفاً حتى حدث شغب بين الخليفة وأمير الجيوش وذلك انه كان للخليفة ولدان يسمى أحدهما نذاراً والآخر بأحمد المستعلي وكان الشعب يكره نذار

وأمير الجيوش يحبه فلما جعل الخليفة ولاية العهد لنذار لداعي انه الاكبر ثار الشعب فالتزم الخليفة عزله وجعلها لاحد فتجادل معه الامير في ذلك وكثر بينهما القيل والقال والنزاع والجidal فاتفق الامير مع الحسن على تخليف نذار وتبليغ الناس ذلك فوشى بالحسن لدى الملك فحبسه في قلعة دمياط وصادف دخوله القلعة انهدام بعض ابراجها فظنت العامة ان ذلك من كراماته فخافوا منه واخيراً تمكن بواسطة الامير ان يفر وسافر الى المغرب وفي أثناء السفر اضطربت السفينة بمن فيها فأمنهم وطمئنتهم قائلاً انها تسلم فصديق الواقع قوله فاحبه اهل السفينة ومن المغرب سافر الى الشام ومنها الى حلب ومنها الى بغداد ومنها الى خورستان ومنها الى اصفهان وسافر كل هذه الاسفار مختبئاً مخفياً ليتمكن من تبليغ الناس خلافة نزار ويدعوهم اليه وأرسل من طرفه دعاة الى الموت ورودبار وقهستان فاجابه كثير وعند اقترابه من قلعة الموت سكن في قرية وتزهد وتظاهر بالصلاح والتقوى حتى انخدع الناس وبائعوه وأخذوا بيده وادخلوه القلعة ليلاً وذلك في رجب سنة اربعمائة واربع وثمانين وكان الوالي رجلاً علوياً يدعى المهدي من قبل ملك شاه الساجوقي ففي يوم من الايام قال له الحسن اعطني من

القلعة (ملكا) مقدار جلد بقرة في مقابلة ثلاثة الآلاف ديناراً وكتب
تحويلاً بها الى الرئيس مظفر بجرجوه من جهات وامغان وهو وال
ولكنه اسماعيلي باطنياً وعبارة التحويل هكذا رئيس مظفر حفظه
الله مبلغ ثلاث آلاف دينار ثمن قلعة الموت سلمها للمهدي العلوي
فاعطاه المبلغ المذكور فبسط الحسن الجلد بالخيوط حتي ملأ القلعة
فقال للحاكم ان القلعة صارت ملكي فخر الحاكم وكتب الحسن
لرئيس أبي الفضل يعيد عليه ما قاله له أولاً وقال له قد اقرب صدق
مقاتلي وبعث الحسن والدعاة الى الجهات الايرانية والطورانية فقبلوا
طريقته ولم تزل الدنيا مقبلة علي الحسن حتي تسلط على كثير من
البلدان وصار الرئيس لطائفة الاسماعيليه وكانت أيام سلطنته ٣٣ سنة
وتخلف بعده سبعة اقس ملكوا قريباً من واحد وثمانين سنة وفي
آخر مدتهم ظهر هلاكو وخذلهم وفتح بلادهم وقلب عرشهم
قال نصير الدين الطوسي في تاريخه انه في سنة ستمائة واربع وخمسين
يوم الاثنين غرة القعدة صباحاً رأيت بعيني خورشاه سلطان
الاسماعيليه نزل عن التخت ووقف امام هلاكو اكبد من عبيده
وكانت دعوة الحسن في أول أمرها وابان ظهورها واشتعال
نارها وتأجيج لهيبها الوقت ظهور أبي حامد واشتهاره فورد عليه أمر

جاذم من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب في الرد عليهم ودحض
ما لديهم كما قدمنا فألف أبو حامد في مناقضتهم كتباً أظهر فيها
عوراتهم ورد عليهم في قولهم بالحاجة الى اقامة معلم معصوم بان المعلم
المعصوم انما هو صاحب الشريعة عليه السلام فانه ابان عن طريق
الرشد واوضح المحجة وأكمل الحجة واتم الارشاد والتعليم (اليوم
اكملت لكم دينكم) وبأن طريق المعرفة الاصولية هو النظر الصحيح
يعني المستوفي للشرائط المعبرة عند ارباب فن الميزان ورد عليهم
في شرودهم بالتأويل عن الجادة وتوغلهم فيه بلا نظام ولا قانون
بان ذلك يبطل الثقة ولا يبقى معه ما يسمى باللغة وبأنه مناقض لاصل
اصول الاديان من الجمع بين اصلاح العامة وتعليم الخاصة فالمنتحل
له صارف عن سبيل الانبياء وذلك ليس من حدود العلم والعلماء
وبالجملة فقد صنف في الرد عليهم عدة رسائل منها المستظهرى وحجة
الحق وهو جواب كلام عرض عليه ببغداد ومنها مفصل الخلاف
المقسم الى اثنا عشر فصلاً وهو جواب كلام عرض عليه بهمدان ومنها الدرج
المرقوم بالجدول وهو جواب عن ركيك من كلامهم عرض عليه
بطوس ومنها القسطاس يذكرك فيه موازين العلوم واظهار الاستغناء
عن الامام المعصوم

ولما فرغ من ذلك كله علم ان ما حصله ليس وافياً بكمال
 الغرض وان العقل لا يستقل بالا حاطة بجميع المطالب ولا بالكشف
 عن جميع المعضلات وان المطلوب هو استخلاص الحق من بين
 اضطرابات الفرق والتمييز بين جميع المسالك والطرق فاقبل بهمة
 على درس طريقة الصوفية من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب
 لابن طالب المكي وكتب الحرف المحاسبي والمتفرقات المأثورة عن
 الجنيد والشبلي وغير ذلك من كلام مشايخهم حتي اطلع على كنه
 مقاصدهم العلمية وحصل ما يمكن ان يحصل من طريقهم بالتعلم
 والسماع فعلم ان طريقهم انما تتم بعلم وعمل اذا كان غاية ما يقصدون
 قطع عقبات النفس والتنزه عن اخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتي
 يتخلى القلب عن غير الله ويتحلي بذكر الله وظهر له ان اخص خواصهم
 من لا يمكن الوصول الى درجته بالتعلم والسماع بل بالدوق والسلوك لكن
 اماماً كهذا الامام له من الشهرة وبعد الصيت والشأن الرفيع والجاه
 العريض والحال المرتب المنظوم والامر الصافي عن منازعة الخصوم ما
 لا يدعه يقدم علي عمل مفتاحه قطع العلائق من الدنيا بالكلية بحيث
 لا ياتفت القلب الى أهل وولد ومال ووطن ومنصب وولاية وحتى
 يصير الى حالة يستوي عنده وجودها وعدمها يتعذر عليه الخوض في

ذلك البحر الذي وقفت الرجال بساحله اللهم الا اذا صادفته العناية وكان
 قوة الجأش وعلو الهمة واستمسك النفس في اسمى مكانة (وامل
 ذلك قال عليه السلام ان اربكم في أيام دهركم تفحات الا فتعرضوا
 لها) فلم يزل يتفكر في ذلك عدة شهور اولها رجب سنة ثمان وثمانين
 واربعائة وصار يتردد بين تجاذب هذه الاحوال وتلك الاعمال فيوماً
 يصمم العزم على الخروج من بغداد ويوماً يحل وصار يقدم رجلاً
 ويؤخر اخرى لا يصفو له رغبة في طلب تلك السعادة العملية بكرة
 حتى يحمل عليها جند الشهوة فيغترها عشية كل ذلك ومنادي
 الايمان يناديه الرحيل الرحيل فلم تبق من العمر الا قليل وبين يديك
 السفر الطويل وجميع ما انت فيه رياء وتخيل حتي اذا غاص فكره
 يوماً في حقيقة هذه الدنيا ولذاتها علم ان مدتها منحصرة ولذاتها
 منصرمة منقضية وان الموت وراء الانسان بالمرصاد وان الامل
 في الخلود غفلة وغرور وحق وجنون وان الحزم هو ابعاد القلب
 عنها طوعاً قبل ان يطرد منها كرهاً وان امر الدنيا غادر ورائع وليس
 صفاؤها بايدي دائم بل الانسان معرض فيها لانواع من الشقاء
 وان الانحطاط عن همة الانبياء عيش البؤساء ودناءة في الرجاء وان
 المؤمن السليم بماذا يتميز عن الكافر اللئيم الا بعلو الهمة وسقوط

رتبة الدنيا في عينه وترفعه عن مشاركة العجاء في هذه الاشياء
 واستولى ذلك الفكر على قلبه وملك قواه واشتأزت نفسه عما هو
 عاكف عليه وتقرت بالكلية وانقبضت انقباضاً شديداً أورثه حزناً
 في القلب ضعفت معه قوة الهضم حتى قطع الاطباء طعمهم في
 العلاج وقالوا هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى الى المزاج فلا سبيل
 الى علاجه الا بأن يروح السر عن الهم الملم فصغر هذا المرض
 الدنيا في عينه وسقطت منزلتها عنده وبغضها اليه فسهل عليه
 الاعراض عن الجاه والمال والاهل والولد والاصحاب وصدقت
 نيته في الاقدام علي هذا العمل واستشار بعض متبوعي الصوفية في
 الانقطاع الى تلاوة القرآن فمنعه وقال السبيل ان تستمر علي قطع
 العلايق وتهذيب النفس من الرذائل والنقائص وتلاحظ نفسك في
 ذلك دائماً حتي يصير ملكة لك والاقرب الى ذلك هو مفارقة
 الوطن والعيال والخروج من العراق وملازمة الاعتكاف والتحنث
 حتي اذا رسخ في النفس ذلك الحال لازمت الخلوة للتفكير
 ومطالمة ملكوت السموات والارض الى ان تكمل صفاتك وتحلي
 بالفضائل بعد هذا التخلي عن الرذائل وعند ذلك تستأهل لان تكون
 اماماً لا شغل لك الا دعوة الخلق الى الحق والضرب علي يد الظالم

بما يمكن فقارق بغداد في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين واربعمائة
 وفرق ما كان معه من المال ولم يدخر الا قوت الاطفال وقدر
 الكفاف ودخل الشام واقام بها قريباً من سنتين لا شغل له الا العزلة
 والخلوة والرياضة والمجاهدة لتزكية النفس وتهذيب الاخلاق
 وتصفية القلب لذ كر الله حسبا حصله من علم الصوفية ثم رحل
 منها الى بيت المقدس ومنها الى اداء فريضة الحج ثم قصد مصر على
 عزم الاجتماع بالامير يوسف بن تاشفين وبينما هو كذلك اذ سمع
 نعي يوسف فصرف عزوه عن تلك الناحية واستمر يحول في البلدان
 وهام على وجهه في البراري والقفار لابساً المرقعة ومعه المزود ويده
 العصا وبينما هو على تلك الحال اذ لقيه بعض اصحابه فعرله عليها
 والتمس منه الرجوع الى الوطن ومعاودة ما كان عليه فاعرض عنه
 بوجهه وأنشد

تركت هوى ليلى وسعدي بمنزل

وعلى اني مصحوب اول منزل

ونادتي الاشواق مهلاً فيه

منزل من تهوى رويدك فانزل

وبالآخرة علاود الوطن والتمس بتكميل نفسه ودعوة الخلق

الى ما فيه صلاحهم وبالتصنيف في العلوم المفيدة والمسائل السديدة
واخذ يذكر في كتبه ما استفاده في مدة الخلوة والعزلة من معنى
النبوة ومن معنى التكليف وغيرهما من المسائل الاصولية الاساسية
وكان مما استفاده ما ذكره في كتابه مشكاة الانوار من معنى النور
ودرجاته وشرح الآية المباركة (الله نور السموات والارض الخ)
لذلك راينا نشره لما فيه من المنفعة الكبرى والفائدة العظيمة واضفنا
اليه هذه الترجمة المسهبة

ولما استقر بوطنه اتخذ خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين
بالعلم في جواره ووزع اوقاته على وظائف الخير من تلاوة القرآن
ومجالسة اهل القلوب والتصنيف في العلوم الحققة الحقيقية كما قدمنا
فكتب اليه الوزير نظام الملك يستدعيه الى بغداد والتدريس بالنظامية
فابى وكتب اليه جواباً شافياً هذا نصه

بسم الله الرحمن الرحيم واسكن وجهه هو

موليها فاستبقوا الخيرات

اعلم ان الخلق في توجههم الى ما هو قبلهم ثلاث طوائف احداها
العوام الذين قصر ونظروهم على الاجل من الدنيا فقطهم الى ما بقوا
ماذبثان ضاريان في زريبة غم باسهم افسادا من حب المال والشرف

في دين المرء المسلم (ثانيها) الخواص وهم المرجحون للآخرة العالمون
بانها خير وابقى العالمون لها الاعمال الصالحة فنسب اليهم التقصير بقوله
الدنيا حرام على اهل الآخرة والآخرة حرام على اهل الدنيا وهما حرامان
على اهل الله (ثالثها) الاخفاء وهم الذين علموا ان كل شيء فوقه شيء
آخر فهو من الآفلين والعاقل لا يجب الآفلين وتحقيقوا ان الدنيا
والآخرة من بعض مخلوقات الله واعظم امورها الاجوفان المطعم
والمنكح وقد شاركهم في ذلك كل البهائم والدواب فليس واحد
منهما مرتبة سنية فاعرضوا عنهما وتعرضوا لخالقهما وموجدتهما ومالكهما
وكشف لهم معنى والله خير وابقى وتحقق عندهم حقيقة لا اله الا
الله وان كل من توجه الى ما سواه فهو ليس بخال عن الشرك الخفي
فصار جميع الموجودات عندهم قسمين الله وما سواه واتخذوا ذلك
كفتي ميزان وقلوبهم لسان ذلك الميزان فكلموا راوا قلوبهم مائلة الى
الكفة الشريفة حكموا بثقل كفة الحسنات وكلموا رأوها خسيصة
حكموا بثقل كفة السيئات وكما ان الطبقة الاولى عوام بالنسبة الى
الثانية فكذلك الطبقة الثانية بالنسبة الى الثالثة فرجعت الطبقات
الثلاث الى طبقتين فحينئذ اقول قد دعاني صدر الوزراء من المرتبة
العليا الى المرتبة الدنيا وانا ادعوه من المرتبة الدنيا الى المرتبة العليا

التي هي اعلى عليين والطريق الى الله من بغداد ومن طوس ومن كل المواضع واحد ليس بعضها اقرب من بعض فاسأل الله اني يوقظه من نومة الغفلة لينظر في يومه لغده قبل ان يخرج الامر من يده والسلام اهـ

ثم توفي بعد ذلك بقليل يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة بوطنه طوس ومشهده بها يزار بمقبرة الطابران ورناءه ابو المظفر الايوردي بقصيدة فائية منها
بكي على حجة الاسلام حين ثوى

من كل حي عظيم القدر اشرفه
فما لمن تمري في الله عبرته

على ابي حامد لاح يعنفه
ومنها

مضى واعظم مفقود جمعت به من لانظير له في الناس يخلفه
هذا وكان في عز منان نعقب هذه الترجمة ببسط عناصر تعاليمه
وتشريح بنية مبادئه ولكن الزمان لم يسمح ولا زمانا لم يرضخ بل كتبنا
ما كتبناه على عجل تراكم الاشغال وتبليل البال فنسأله تعالى ان
يصلح الحال ويصفح عن سقطات القلم انه خير من غنى ورحم

صواب	خطأ	صحيفة	سطر
لان المظلم انما سمي	لانه مظلم وسمى	١٧	١٤
ترقى	يرقى	١٨	٧
لا أنه	لانه	»	٩
واستوفت	واستهوت	١٩	١٣
المراة	المراه	٢٠	٦
طبقتي	طبيعتي	٢١	٩
النور	الانوار	٢٢	٧
ترتيبها	يرتيبها	»	١٠
كثيثة	كنهه	٢٣	١٦
اشارة	الاشارة	»	١
ليان	بيان	٢٨	١
بشرحه	لشرحه	٣٠	٤
أعرفك	عرفك	»	٥
ما فوقه فقال	ما فوقه اقولاً فقال	»	١٥
فنه يقول	فنه من يقول	٣١	١
يجيب عن الافعال بالافعال	يجيب بالافعال بالافعال	»	١٢

صواب	خطا	صحيفة	سطر
من	في	٣٦	١٣
سوي	اشد	»	١٥
الطور والنار	الضوء والنهار	٣٧	١٤
على	عن	٣٨	١
»	«	«	١٣
الحيواني	الحيوان	٣٩	١٠
يركب	يرتكب	٤٩	٨
ظلمة	ظلم	«	١١
اشعال	اشتعال	٥٢	٠٢
الاسر	الاثر	٥٩	٩
القرض	الفرض	٦٢	٩
اعتمدوا	اعتقدوا	٦٣	١
المقصود	المقصود	٦٥	٤
ينصر	ينصو	٦٧	١٤
التحيز	التمييز	٦٨	١٣
التسرع	الشرع	٦٩	٥

صواب	خطا	صحيفة	سطر
اكتنه	اكتبه	٧٠	١
الاكثر به	الاكثر به	»	٠١
امامه	امام	٧٢	٣
دمغان	وامعان	٧٦	٢
بث الدعاه	بث والدعاه	«	٨

(تنبيه)

حصل في آخر صحيفة ٤٨ سقوط هذه الجمل
بل احسن منها فاي ظلمة اشد من ذلك فقد حجب هؤلاء
بمحض الظلمة وفرقة رأيت ان غاية السعادة هي الغلبة والاستيلاء
والسبي والقتل والاسر



عن الكتب التي طبعت وعرفتنا من أرادها فليخبرنا

فتاوي النجاشية مع فتاوي بن نجيم

شرح ابن امير الحاج على تحرير الاصول لابن القيم

شرح الاسنوي على منهاج البيضاوي

كشف الاسرار مع نور الانوار وقر الاقار كلها على المنار

شرح المسامرة على المسامرة للكمال بن القيم في التوحيد

كتاب سيويه محشي مع شعاع الهدى والكتب المذكورة

كلها طبع ميري

بمؤونة شروح الانخيص وجواشيه

(طبع ميري) اعني عزم الافراح للسبكي ومواهب

الفتاح لابن يعقوب والايضاح للمصنف وحاشية الدسوقي

موافق مع اصل الشرح

شرح تهذيب الكلام لامام المتأخرين الشيخ عبد القادر

السندرجي الكرديستاني وحاشيه الحاكيات لاختيه المحقق

بيان الكتب التي تحت الطبع

مستصفي الاصول للقراني مع شرح مسلم النبوت

شرح منظومتي الشكراكي في الاصول والفروع

فرج الله زكي الكرديستاني بمصر